17 em Année No. 821 — Lundi — 28 — 3 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٢١ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢٨ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

تعليق على جـــواب

صديقي الأستاذ أبا خلدون :

سألتك : هل الشقاق طبع في العرب ، فأجبتني أن الشقاق طبع في جميع الناس . وكما سقت إليك في سؤالي شهادة التاريخ على شقاق العرب في الجاهلية والإسلام ، وفي البداوة والحضارة ، وفي الدين والسياسة ، وفي الشدة والرخاء ، سقت إلي في جوابك شهادته على شقاق اليونان والرومان والفرنسيين والألمان في كل أدوارهم ! وقصر الشقاق على العرب ، والخلاف على المسلمين ، لم يخطر ببالي حين وجهت إليك سؤالي ؛ فإن من يَقصر الخلاف في حياة الناس على بعض دون بعض ، كمن يَقصر التقلب في حال الطبيعة على أرض دون أرض . والله العليم بكل سر والشهيد على كل أمر يقول : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم » ؛ إنما قصدت بسؤالي أن أوامضك الرأي في طبيعة الشقاق العربي الذي لم يحسمه الدين ولم تخففه التجارب : أيصدر عن علة تزول ، أم يصدر عن جِبلّة تبقى ؟ والذي رابني من هذا الشقاق ما أراه اليوم من تمرده على الميثاق الجامع ، وخروجه على الرأي الجميع ، وتحديه للخطر المشترك ، لشهوة تستبد ببعض النفوس ، أو لنزوة تعصف ببعض الرءوس ، لا لفلسفة تبرر سياسة الفرقة كما كان عند الإغريق ، ولا لاجتهاد يتوخى سلامة الجماعة كما كان عند الرومان .

أما قولك يا صديقي إن العرب ليسوا بِدْعاً من الأمم في الشقاق والانشقاق ، فإني كنت أرفعهم في نفسي وفي رأيي فوق ذلك ؛ لأن الأمة العربية إحدى أمتين اختارهما الله لإعلان دينه وإعلاء حقه ، فبعث آخر رسله من بينها ، وأنزل دستور شرعه بلسانها ، ووضع ميزان عدله في يدها ؛ فإذا هي أصاخت كغيرها إلى صوت النزوة ، واستجابت لدعاء الهوى ، لم تكن حرية بقول الله فيها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . ولا بقوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

وأما تفسيرك العرب بالبدو في قول صديقك ابن خلدون ، فلا يؤخر في التهمة ولا يقدم في الدفاع ، لأنك تعلم أن الوج من العُباب ، وأن العرب من الأعراب ، وأن العصا من العُصَيّة . والطباع قلما تتغير بانتقال صاحبها من سكنى الوبر إلى سكنى الحجر ، ومن رعاية الإبل إلى رعاية الناس .

وأما تعليلك هذه الصدعات التي أصابت العروبة فمزقت الكلمة وفرقت الدين ، بسرعة الفتح ، واتساع الرقعة ، ومؤونة الانتقال ، وصعوبة الاتصال ، فيضمنه علمك بأن الصدعة الصغرى كانت في (السقيفة) بعد أن قُبض الرسول ، وأن الصدعة الكبرى كانت في (الدار) بعد أن قُتل عثمان !

لا يا صديقي ، إن الفردية هي علتنا الأصيلة ، وإن العصبية هي داؤنا الموروث . وإن هاتين الرذيلتين هما جماع الآفات التي مُني بها العرب ، وعُني بعلاجها الإسلام . وقد فصّلت ذلك في مقالين نشرا في « وحي الرسالة » . والدليل قائم اليوم يا صديقي على أن الفردية والعصبية لا تزالان توهنان البناء ، وتحللان العقدة ،

وتمرقان الجماعة. ولولا أن بيني وبينك ثالثاً يمحو ويثبت، لبينت الأسباب، وعينت الحوادث، وسميت الأشخاص؛ ولكني كضفدع الشاعر التي يقول فيها:

قالت الضفدع قولا ردده الحكماء
في فمي ماء، وهل ينطق من في فيه ماء؟

أحمد حسن الزيات

الذرة والسياسة والحرب

للأستاذ عمر حليق

في المعسكر الغربي جدل حول خطورة القنبلة الذرية كسلاح فاصل وعن الدور السياسي والحربي الذي ستلعبه في مستقبل العالم

فهناك من يعتقد بأن القنابل الذرية التي يملكها وينتجها حلفاء الغرب كافية لأن تقضي على الكيان السوفياتي وآلة حربية في فترة من الصراع المسلح قصيرة الأمد؛ وأنه لا يمكن أن توجد أسلحة دفاعية ضد هذا السلاح الجهنمي.

ويستند أصحاب هذا الاتجاه إلى اختبار اليابان؛ فهذا النوع من التدمير الجهنمي الذي محا مدينتي هيروشيما ونجاساكي شاهد حي على تحليلاتهم وتعليلاتهم وهي تتعرض إلى النواحي الفنية في مفعول القنبلة الذرية وإنتاجها. وعلى رأس أنصار هذا الرأي العالم المعروف ألبرت إينشتين.

وأصحاب الرأي الثاني متحفظون في نظرتهم إلى سياسة القنبلة الذرية؛ فهم لا يرون في مفعولها هذا الهول المعظم الذي يتصوره الرأي العام المالي. ومن أبرز أصحاب هذا الرأي العالم البريطاني الشهير البروفسور بلاكيت P. M. S. Blackett وهو متخصص في شؤون الذرة، وقد نال مؤخراً جائزة نوبل للعلوم الطبيعية، كما أنه أصدر مؤخراً كتاباً ضمنه آراءه بصدد سياسة القنبلة الذرية، فأثار ضجة في الممالك المتحدة في الأوساط العالمية إجمالا، وضرب بذلك مثلا على مكانة العلم وحرية الرأي في ظل الديمقراطية، إذ أن استنتاجاته وتحليلاته تخالف الرأي الرسمي للحكومة البريطانية ولكنها مع ذلك لم تعترض سبيله ولم تنفر من الاستفادة بخبرته العلمية.

ولنعد إلى عرض فحوى هذا التعليل الذي لا يميل إلى تعليق أمل كبير على القنبلة الذرية كسلاح سريع الفصل في حرب المستقبل. فهو يقرر أول ما يقرر أن نقطة الضعف الرئيسية في القنبلة الذرية كونها لا تختلف عن القنابل الجوية الأخرى إلا بتدميرها عدداً أكبر من المنشآت والأنفس، وأنها لا تستدعي تغييراً جوهرياً في الخطط العسكرية التقليدية من حرب المشاة والأساطيل والطائرات، وأن حرب المستقبل لا مفر لها من اعتبار هذه الخطط العسكرية للنصر العسكري، فقد بلغ ما ألقته أساطيل الحلفاء الجوية على ألمانيا في الحرب المنصرمة مليوناً وثلث المليون من أطنان المتفجرات، ومع ذلك فإن تقرير وزارة الحربية الأمريكية يقول بأن إنتاج ألمانيا الصناعي كان في سنة ١٩٤٤ (بعد أربع سنوات من ابتداء الحرب) أكثر منه في مطلعها سنة ١٩٣٩. وهذا التقرير الأمريكي الرسمي يعترف صراحة بأن خسران ألمانيا واليابان للحرب كان بسبب فقدان المؤونة من الأغذية والمواد الخام لا بسبب التدمير الجوي — فإن مصانع الحرب في هيروشيما ونجاساكي لم تدمرها القنابل الذرية لأنها كانت في الضواحي، وأنه لو تسنى لليابانيين استعمال ملاجئ واقية حصينة لكانت إصاباتهم في الأنفس أخف. فقد كان العالم يجهل آنئذ مفعول القنبلة الذرية فلم يحتط لها بملاجئ. والاستعداد وقائي يقابل خطورتها. ويقول أصحاب هذا التعليل استناداً إلى معرفة فنية بإنتاج القنابل الذرية أن هذا الانتاج في الدول التي تملك سر صنعه محدود، وأنها لا تستطيع توفير قنابل كافية لتدمير جميع المدن ومراكز الانتاج الصناعي المادي قبل مضي سنوات عديدة.

والناقدون لهذا التعليل يشيرون إلى أن خبراء القنابل الذرية لدى حلفاء الغرب يعتمدون على ضربة خاطفة على عصب الانتاج لدى العدو بشكل لا يستطيع معه استرداد رباطة جأشه وترميم الخراب والحرب دائرة. وهناك من خبراء الذرة من يعتقد بأن الأنجلوسكسون لا يستطيعون في ظروف السلم إنتاج أكثر من ٢٠٠٠ قنبلة في السنة، وهم يقدرون كذلك — ولا يفهم عن مصادر هذا التقدير إلا أنها تستند إلى معرفة تكنولوجية — إن روسيا لن تستطيع إنتاج أول قنبلة ذرية قبل عام ١٩٥٣. وهذا القصور في السباق يهيئ لحلفاء الغرب ذخيرة ٤٠٠٠ قنبلة، وهذا التفوق في الانتاج يمهد للدعوة في بعض أوساط الحلفاء لانهاء الكيان السيوفياتي في أقرب فرصة، وللخلاف على مراقبة الانتاج الذري بين الدول الكبرى عدا تعليلات أخرى سياسية واقتصادية

فالبروفسور بلاكيت المذكور مثلا يعتقد — ويردد بذلك ما يشتكي منه السوفيات — بأن عناد الولايات المتحدة في وضع معلوماتها عن الإنتاج الذري للخدمة الاجتماعية العالمية يعود إلى أنانية محضة من جانب الأمريكان ، فإن الكيان الصناعي والعمراني في بلاد العم سام مثبت على أساس الوقود البترولي والكهربائي ؛ فإذا عم استعمال الطاقة الذرية ، فإن ملوك البترول والتوليد الكهربائي وألف نوع ونوع من المنتجات الصناعية المتفرعة منهما سيتضررون ضرراً خطيراً يقلب بعض أوجه النظام الاقتصادي رأساً على عقب ؛ فلا غرابة أن تجاهد واشنطون ومن ورائها ملوك البترول والكهرباء في سبيل الاحتفاظ بالإنتاج الذري ضمن نطاق مقيد يراعى فيه مصلحة النظام الاقتصادي الحالي في أمريكا .

وفوق ذلك فإن في اطلاع روسيا على سر الإنتاج الذري وتوفير المواد الخام والمساعدة الفنية لهو خطر على تفوق أمريكا الصناعي الفريد . فإن الاقتصاد الموجه وسيطرة الدولة على الإنتاج الصناعي في الاتحاد السوفياتي قد يحقق تعميم الطاقة الذرية في أقصر وقت على النحو الذي يخشاه ملوك الصناعة والمال في الولايات المتحدة ، إذ أن ذلك يحقق في الاتحاد السوفياتي تطور الحياة الصناعية والاقتصادية على نوع هائل وخطير يضع الولايات المتحدة في مرتبة ثانوية في الحضارة المعاصرة والسيادة العالمية .

ويقول أصحاب هذا التعليل الاقتصادي — السياسي : إن مشروع الولايات المتحدة لمراقبة الطاقة الذرية المعروض على هيئة الأمم المتحدة لا يتوخى صادقاً إشراك الدول الأخرى في سر الإنتاج الذري ، ولكنه يرمي إلى التعرف على مراكز التجارب الذرية في الاتحاد السوفياتي متخطياً بذلك الستار الروسي الحديدي عن طريق لجنة مراقبة الأمم المتحدة .

هذه هي وجهة النظر الروسية بصدد مراقبة الذرة .

ويجيب خصوم هذا الرأي مشيرين إلى أن روسيا غنية بالمواد الخام من الفحم والبترول ، وأن قوتها الكهربائية المولدة أضخم قوة في العالم على الإطلاق ، وأنها لن تستطيع بأي حال من الأحوال أن تنتج الطاقة الذرية على نطاق واسع قبل مضي ربع قرن على أقل تقدير ؛ ولذلك كان خيراً لها أن تنشط لاستغلال خيراتها بغير الطاقة الذرية .

والقول بأن أمريكا تتحكم متعمدة ومخادعة في الإنتاج الذري لتحفظ كيانها وتدفقها الصناعي من الانقلاب الثوري الذري الخطير المرتقب قول خاطئ . فإن الطاقة الذرية قد ولدت وهي الآن — لأسباب فنية — قيد الإنتاج البطيء ، ولكنها ستعمم إن آجلا أو عاجلا فليس من المنطق أن تتهم الولايات المتحدة بالأنانية والوقوف في وجه التقدم الحضري فإن طبيعة العقلية الأمريكية واتجاهاتها وخصائصها تتوخى تنمية التقدم الآلي كما تشهد بذلك الحضارة الأمريكية الحالية .

* * *

وإذا تركنا هذه التعليلات ورجعنا إلى المسلك الرسمي الذي سلكه حلفاء الغرب في لجنة الطاقة الذرية التابعة لهيئة الأمم والتي تجتمع الآن في لايك سكسس للمرة السابعة عشرة وجدناه يتأرجح بين ثلاثة حلول :

واحد منها سلبي ، فالمشروع الأمريكي إذا لم يؤخذ بحذافيره[١] فإنه يمنع المعلومات الحيوية منعاً باتاً عن الدول الأخرى .

والثاني إيجابي إلى حد ما رضيت بواسطته الولايات المتحدة مساعدة أعضاء هيئة الأمم في توفير الإنتاج الذري بالقدر الذي تحتاج إليه هذه الدول في صناعتها السلمية . فبذلك تظل واشنطون السيدة الأولى في مجال التفوق الذري .

والثالث بريطاني تسوده مسحة المخرج اللبق الذي عرفت به الدبلوماسية البريطانية . فهو يقول إن الخلاف في جوهره خلاف على الثقة ، وهو يقر المشروع الأمريكي في أصوله ، ولكنه يطلب بتقرر الثقة المتبادلة في العلاقات الدولية قبل التقيد بالالتزامات الخطيرة .

هذه الأزمة في الثقة هي عقدة العقد في الخلافات الدولية ، لأنها تستند إلى تباين في الميادين والأهداف والسبل . وجميع الحلول التي قدمت ليست سوى محاولات دبلوماسية اللغة مبطنة المقاصد تحاول أن تخرج من المأزق فتنفق الوقت والجهد في الجدل العقيم ، تذر به الرماد في عيون الرأي العام العالمي وتستر به استعداداتها للمعركة الفاصلة .

(نيويورك) عمر حليق

(١) راجع بحث الكاتب عن « الخلاف على القنبلة الذرية » في عدد سابق في الرسالة .

صور من الحياة :

الشيخ علي

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا لقسوة الحياة حين تستلب الطائر الغريد من حريته فترغمه على أن يعيش سجيناً يضطرب في قفص ، يدف بجناحيه بين السياج فلا يستطيع أن ينشرهما . يرى الهواء والماء والشجر من وراء القضبان ولا يجد لذتها ، ويحاول – في وحدته – أن يترنم بألحان الغابة الشجية فلا تنبعث منه إلا صيحات الأسى والألم ، ثم ينطوي على نفسه في يأس يستشعر الحزن والكمد ، فالباب مغلق من دونه وماله طاقة بأن يظهره . ولكنه – وهو في سجنه – لا ينسى أن يسرّي عن نفسه بعض ما يضنيها فيعبث بها ويعبث منها .

***

ما زلت – يا صاحبي – أذكر يوم أن حدثني أبي بحديث سفري إلى القاهرة لألتحق بالأزهر . فلقد كان لكلماته – إذ ذاك – نغم حلو يبعث في نفسي اللذة والطرب ، ويشيع في قلبي السعادة والنشوة ، ويملأ جوانحي مرحاً وسروراً . وطافت برأسي أخيلة جميلة جذابة فتراءيت في عين نفسي شيخاً فيه المهابة والوقار ، وفيه الهدوء والرزانة ، وعلى وجهه سيما العفة والطهر ، يدخل الأزهر في صمت ويجلس إلى شيخه في خشوع ، يتأنق في جبته ، ويختال في عمامته فابتسمت ... ابتسمت حين أحسست بالسمو والعظمة ، فما في صحابي من رأى القاهرة أو دخل الأزهر ولا من لبس العمامة أو جلس إلى شيخ . ولكن أين أنا الآن مما كان في خيالي ؟ لقد كان حلماً جميلا يوشك الآن أن ينطفئ ألقه ، فأنا أشعر كأنني أعيش وحدي في ناحية من الأرض لا أعرف عنها شيئاً ، لا أتفاعل معها ولا تجذبني هي إليها . وأنا أحس الضيق والملل حين أجدني بعيداً عن داري وأهلي لا أرى أبي ولا ألمس عطف أمي ولا أستمتع بالحديث إلى رفاقي في القرية ومرت الأيام وأنا في القاهرة أعيش مثلما يعيش الطائر الغريد سجين في قفص ، فلا أجد لذة الحياة ولا متعة المدينة ولا رفاهة العيش ، أذوق لذع الغربة وغضاضة الحرمان ، ولا أرى من دنيا القاهرة سوى الأزهر والحجرة وما بينهما فحسب . أعدو إلى الأزهر أستمع إلى شيخي فلا أفهم عنه شيئاً ، وأحفظ كلماته فلا تطرب لها نفسي ، وأستظهر عباراته فلا يهتز لها قلبي . ثم أروح إلى الحجرة التي أسكن لأندفع مع رفاقي في ثرثرة وهذر ما ينتهيان

وضقت بالحياة هنا في القاهرة ، وضاقت هي بي ، فذهبت ألتمس لنفسي متنفساً بين صحابي في الأزهر ، وبين رفاقي في الحجرة ، فتفجرت حياتي عن لذاذات فيها البهجة والسرور . فنحن – أنا ورفاقي – حين نغدو إلى الأزهر لا نهفو إلى الشيخ ولا نسعى إلى الدرس ، كدأب الطالب المنتسب لا يلصق بشيخ ولا يوثق إلى ميعاد ولا يقيد بدرس ، ولكن ننطلق إلى حماقات الصبي وسفاهات الشباب ، وللكثير من شباب الأزهر حماقات شيطانية تبدو عندما تهب أول نسمة من نسمات الصبح حين يوشك الأزهر أن ينفض عنه سنات النوم ، ومن بعد الظهيرة حين يثقل الكرى أجفان الطلبة من فرط الشبع والامتلاء ، ومن بعد صلاة العشاء حين تهد الأجسام من أثر الكلال والتعب . فما نبرح في هزل ومزاح حتى يضج صحن الأزهر ، وحتى يضيق بنا من يتكلف الرزانة ، وحتى يثور من يريد أن يفرغ إلى الدرس أو من يطمع في أن يهدأ إلى الفراش . فلا نخرج من هناك إلا حين ترتفع في وجوهنا عصا الشد أو توشك أن تصفعنا نعال الطلبة .

ونحن حين نروح إلى الحجرة نتحلّق حلقة واحدة نتفكه بما يفعل أساتذتنا ونتندر بما يقولون ونتهكم عليهم في عبث وإقذاع . وإن أعجزتنا فنون الحديث أخذ شاعرنا يقرأ طرفاً من قصص أبي زيد الهلالي أو الزناتي خليفة أو دياب ، يقرأ في غير تمتر وينطلق في غير توقف ، وهو يترنم بما يقرأ في صوت رقيق جذاب يأخذ اللب ويأسر القلب . وقد نجلس إلى رجال ممن نزحوا عن قريتنا منذ زمان يبتغون سعة من الرزق هنا في القاهرة فنستمتع معاً بشرب الشاي الأسود ، ويستمتعون هم بوقت جميل فيه المرح واللذة ، ونستمتع نحن بما نسمع من أغانيهم الريفية وألحانهم الشجية ، فتمتلئ الحجرة ضجيجاً تهتز له أرجاء المكان . فلا تهدأ العاصفة إلا حين يدخل الشيخ علي في وقاره المصنوع وهو ينادي بصوت

أجش « الله ، الله ! هذا هو العلم يا مشايخ ! » فينفض السامر في صمت . أما أنا فأنطلق إلى لحافي أتلفف فيه ، أواري ابتسامة السخرية وقد تطلّق بها وجهي .

ولطالما أحسست السعادة بين صحابي في الأزهر ورفاقي في الحجرة فما يزعجني إلا هذا الشيخ القزم المروق ، وهو يثير في نفسي الكآبة والحزن ، وإن حديثه ليبعث فيّ الملل والضيق ، وإن حركاته لتحملني على النفور والبغض ، وإن طباعه لتبذر فيّ غراس الكراهية له والاشمئزاز منه .

والشيخ علي فتى ضئيل مهزول تقتحمه العين وتزدريه النفس ، يتعالى حين يحس الصغار ، ويترفع حين يحس الضعة ، ويتكبر حين يحس الذلة ، في وجهه عبوس ، وفي كلامه خشونة ، يتصنع الرقة ويتكلف الظرف . وفي طبعه الشراهة والأنانية فهو يحرمني مال أبي ، فما يحبوني بقرش أشبع به بعض رغبات نفسي ، وإنها لتدفعني إلى أشياء أراها في الشارع ، أهفو نحوها ولا أجد السبيل إليها . وهو يحرمني حاجات القرية ، فأبي يرسل إلى الدجاج والأرز والفطير والعسل والسمن و ... فأراه وأشتهيه ولكن يدي لا تستطيع أن تبلغه ؛ وإن كبريائي لتترفع عن أن تتحدث بهذا لواحد من الناس . وهو قط لا يجلس إلى واحد منا ولا يتبسط معنا في الحديث ، ولا يلقي إلينا بالتحية ، صلفاً منه وتيهاً ، فهو — في رأي نفسه — شيخ يوشك أن يكون عالماً . ثم هو يتأنق في لباسه الرخيص ويحرص على أن يلبس نفسه — دائماً — ثوب الطاووس .

لشدّ ما غاظني ما أرى من طباع هذا الشيخ وفيها اللؤم والضعة ، ولشد ما ضايقني أن أراه يحاول أن يضعني منه موضع الخادم وأنا شموس صعب ، ولشد ما حزّ في نفسي أن يزعم لنفسه الرئاسة فيريد أن يبسط علينا سلطانه ، وما هو في القرية بشيء .

وثارت شيطانيتي — ذات يوم — ودفعتني إلى أن أعبث بالشيخ فرحتُ أنشيء كلاماً موزوناً مقفى فيه الهجاء المقذع والتهكم المر ، والسخرية اللاذعة ، أخاطب به هذا الشيخ القميء ، وأخذت أردده بين رفاقي كل مساء في الحجرة ، وفي وقت الظهيرة في صحن الجامع الأزهر ، فما تلبث رفاقي أن حفظوه وراحوا يترنمون به وجاءني الشيخ علي يفور غضباً ويتوثب غيظاً ، يتكلف الوقار والهدوء ثم صاح في وجهي « أأنت قلت هذا الكلام ؟ » فقلت « نعم ، وويلك إن أنت رفعت يدك أوحركت لسانك ! » وذهل الشيخ لحديثي حين رأى فيه الجرأة والغلظة ، فقام عني ليكتب إلى أبي يشكوني .

وجاء أبي ليسمع ويرى ، فأغلظ لي في القول وعنف في الحديث ، ولكنه حين أراد أن يعود إلى القرية أعطاني عشرة قروش ... عشرة قروش كاملة ! ورأت طفولتي في نظرات أبي وفي قروشه معاني خفيت على الشيخ نفسه . وسافر أبي إلى القرية ولكن « قصيدتي » ما زالت تلاحق الشيخ في كل مكان ويترنم بها كل لسان .

وضاق صاحبنا بهذا الهجاء فانطلق إلى شيخي ينشر أمامه سفاهتي وقلة أدبي ، وشيخي رجل فظ غليظ جافي اليد واللسان . وأراد شيخي أن يبطش بي ولكنه وجدني لين العود لين العظم ضئيل الجسم نخشي إن هو ضربني أن أتحطم تحت يده أو تحت عصاه ، فهرني في شدة ثم جذبني من أذني جذبة خِلتُ معها أن رأسي قد انشطر لها شطرين . ورضي الشيخ علي ولكن « قصيدتي » ما زالت تلاحقه في كل مكان ويترنم بها كل لسان .

ورضيت نفسي بما فعلتُ . ومرت الأيام والشيخ علي يزداد كراهية لي ومقتاً ، وأنا أتمادى في إغاظته وإثارته ، وهو لا يستطيع أن يثأر مني خشية لساني وجرأتي ، وإبقاء على ما يرسله أبي من مال وطعام .

وجاء ابن عمي من القرية — ذات مساء — يحمل معه الطعام والنقود ، وأسررت له أمراً ووافق هو ، فلم تمض ساعة حتى كنت أنا وابن عمي والطعام والنقود جميعاً في حجرة الشيخ حسن .

لقد انفلت الطائر الغرّيد من قفصه ليذر صاحب القفص — الشيخ علي — يندب صحبتي حين فقد أطايب الطعام وهي تهطل عليّ من القرية فأتنسم ريحها ولا أتذوقها ، وحين فقد مال أبي وهو كان يستمتع به وأنا أقاسي مرارة الحرمان .

فوداعاً ، وداعاً ، أيها الشيخ القميء ، فما في شراهتك وأنانيتك وبخلك ما يدفعني إلى أن أقول لك : إلى اللقاء ...

كامل محمود حبيب

فزان بين يدي الأتراك والطليان (*)

للأستاذ أحمـــد رمزي بك

المقدمة :

١ — أعبر عن شكري لهيئة مجلس الإدارة الممثل لرابطة خريجي جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا إذ أتاح لي الفرصة مرة ثانية لكي أتحدث إليكم ، وسيكون حديثي عاماً عن مقاطعة « فزان » وهي الجزء الجنوبي من ليبيا

وهو حديث كما ستسمعونه سهل غير متكلف يعبر عن شعور المتكلم أكثر من أن يكون محاضرة بالمعنى الصحيح ، إذ أنني لا أقصد من هذا تقديم بحث علمي أو تاريخي ، وإنما أتقدم بمعلومات متفرقة ونظرات أوحاها إليّ ما كان ينطبع في مخيلتي عند مرور هذا الاسم عليّ في أوقات مختلفة ومناسبات عدة .

٢ — ولقد اخترت التحدث عن هذا الموضوع لأني رأيت اسم « فزان » بارزاً في الأسابيع الأخيرة ، فهي موضع نزاع قائم بين أهل ليبيا وبرقة الذين يطلبون الوحدة لبلادهم التي لا يفرقون بين الجزء الغربي المسمى ليبيا ، والجزء الشرقي المسمى برقة ، ولا يسلمون بانتزاع الجزء الجنوبي المسمى « فزان » ومع دعاة التقسيم وتوزيع الأسلاب .

٣ — ولا شك أنكم قرأتم في الصحف أن فرنسا تحتل هذا القسم المسمى « فزان » وأن السلطات العسكرية المحتلة منعت ممثلي الشعب الليبي ورجال الصحافة العربية من دخول مقاطعة « فزان » أو الاقتراب من حدودها . فحالت بينهم وبين الاتصال بالسكان . وأترك لحضراتكم تفسير وقع هذا النبأ وأثره في الضغط على حريات الشعوب المظلومة .

٤ — إن الوحدة الإقليمية التي ينادي بها أهل البلاد هي وحدة قائمة منذ العهد العثماني ، واستمرت طول الحكم الإيطالي إذ كان يطلق على هذا الإقليم اسم ولاية أو إيالة طرابلس الغرب حتى جاءت إيطاليا واعتدت عليها فأصدر ملكها في أوائل سنة ١٩١٢ أمراً ملكياً ، جعل الولاية قسمين : قسم ليبيا وقسم برقة وألحقت قائمقامية فزان بالقسم الليبي ، وبقي الحاكم الإيطالي يسيطر على الأقسام جميعها .

٥ — ويجعل الطليان امتداد فزان ٩٠٠ كيلو متراً من الشرق إلى الغرب و ٧٠٠ كيلو متراً من الشمال إلى الجنوب ، ويجعلون مساحتها أكثر من ٣٠٠ ألف كيلو متراً وهي كما ترون تتوسط تقريباً الصحراء الكبرى بين وادي النيل وشواطئ المحيط الأطلسي وتكون هضبة يبلغ مستوى ارتفاعها ٥٠٠ متراً فوق مستوى البحر وإن كان يتخللها وديان ومنخفضات تهبط أحياناً إلى ١٥٠ متراً تحت سطح البحر .

٦ — فهي تتمتع بمركز ممتاز جعل منها لمدة قرون مضت ممراً للطريق البرية ، وأصبحت عاصمتها « مرزوق » في وقت ما مركز تجمع القوافل التي كانت تسير من بلاد المغرب ومن مصر وطرابلس وبرقة في اتجاهها إلى بلاد السودان وأواسط أفريقيا .

٧ — فالطريق من مصر كان يمر بالجغبوب وجالو وزيلا إلى مرزوق ومنها يتجه جنوباً إلى الأقاليم السودانية ، وأحياناً يتجه إلى حوض النيجر وتمبوكتو .

والمطلع على كتب التاريخ القديمة يذكر الجاليات السودانية التي كانت تأتي من دكرور وتقطن وادي النيل ويحيطها كثير من ملوك مصر وسلاطينها بعطفهم أيام دولتي المماليك ، ثم أتى وقت كانت فيه كل من غات ومرزوق منزلين مهمين من منازل الحجاج المسلمين في طريقهم من غرب أفريقيا . وأخيراً فقدت المدينتان هذه الأهمية بعد أن اتخذ الحجاج طرق البحر ، وبعد أن أضاعت الأمارات الإسلامية استقلالها في أفريقيا وخربت الجهات والواحات التي كانت يوماً ما آهلة بالسكان ، عامرة بالمزارع .

ومع هذا فليس ببعيد أن تسترد هذه المناطق منزلة قد تفوق منزلتها الأولى ، إذ أن النصف الثاني من القرن العشرين يخبئ لنا الكثير من المفاجآت وأهمها العودة إلى الطرق العتيقة التي كان أسلافنا يقطعونها في أيام فإذا بالسيارات تقطعها في ساعات .

ثلاثة تواريخ هامة يجب أن نضعها أمام حضراتكم حينما نتحدث عن فزان :

(*) ملخص المحاضرة التي ألقاها أحمد رمزي بك ممثل مصر السياسي بسوريا ولبنان من ١٩٣٦ — ١٩٤٤ برابطة خريجي جامعات فرنسا وسويسرا وبلجيكا .

فى مارس سنة ١٩١٤ احتلت إيطاليا مرزوق وخرجت منها فى ديسمبر من نفس السنة .

فى عام ١٩١٧ استردها الأتراك ثم تركوها لأهلها سنة ١٩١٨ حتى استعادها الطليان سنة ١٩٢٩

فى ١٢ يناير سنة ١٩٤٣ دخلتها قوات فرنسا الحرة ولا تزال تحتلها إلى اليوم .

وقد أعلن هذا الفتح فى بلاغات ثلاثة عسكرية :

الأول : يصف العمليات الحربية الأخيرة فى الشمال ويعين الجنرال دلانج Delange حاكماً عسكرياً .

الثانى : يعلن سقوط مدينتى سبها ومرزوق معاً .

الثالث : يعدد الأسرى والغنائم ويشيد بعمل الفرق السنغالية التى اشتركت فى المعركة .

٩ — وفى ١٧ يناير سنة ١٩٤٣ أصدر الجنرال ديجول بياناً للسكان جاء فيه :

إلى أهالى فزان الشجعان الكرماء :

أحييكم باسم فرنسا التى حررت بأسلحتها أراضيكم ، وستأخذ من الآن فصاعداً على عاتقها حمايتكم .

إن فرنسا ستبقى فى فزان وفى غيرها الصديقة الخاصة لرعاياها المسلمين .

لقد ترتب على هزيمة العدو المشترك أن أصبحت مقاطعتكم تتمتع بالأمن والرفاهية تحت سيطرة فرنسا .

١٠ — ومن ذلك اليوم ، ظهرت نوايا فرنسا فى أن تنتدب على فزان وجاهرت بأنها جزء متمم للمستعمرات الفرنسية أقرب إلى الجزائر وتونس منها إلى ليبيا وبرقة .

بل جاهر رجال فرنسا بأنها المحطة الرئيسية للطريق الجوى بين مدغشقر وفرنسا .

وقيل أن بريطانيا وأمريكا سوف لا تمارضان فى الضم إذا قبلت فرنسا بعض الاشتراطات .

١١ — فما هى فزّان حتى تصبح ذات أهمية وموضوع خاص؟ جاء فى معجم البلدان لياقوت الحموى :

هى ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب تقع فى الاقليم الأول ، بها نخل كثير ، ومدينتها زويلة السودان والغالب على ألوان أهلها السواد .

وقد ذكرهم جرير فى شعر له فقال :

تقرأ تشابه آجال النعام به   عيداً تلاقت به فزان والنوب

مما يشعر أن فزان كان اسماً يطلق على جنس أو قبيل من الناس ، والمسألة تحتاج إلى تحقيق .

١٢ — ولن أترك هذا القسم من الحديث دون أن أشير إلى باب مشهور من أبواب القاهرة هو باب زويله المعروف باسم باب المتولى ، فقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى جنود الدولة الفاطمية الذين كانوا من هذه المنطقة من أقاليم الصحراء الكبرى .

١٣ — من السهل التعرض إلى وصف الاقليم الفزّانى ومظاهر الطبيعة وتضاريسها من وديان وجبال ، والكلام على طرق المواصلات ، فيها وفى داخلها ، كما أنه من المفيد الإشارة إلى توزيع السكان وأصولهم من عرب وبربر ، وعوائدهم وما يسود هذه الجماعات من معتقدات قديمة وأساليب معاشهم؛ ولكن هذه المعلومات موجودة فى المراجع المختلفة ويمكن الاطلاع عليها ، ومجرد ذكرها لا يعد من المواضيع الجديدة التى يصح أن أعرضها فى حديث فرضت من المبدأ أن يكون الغرض منه تنبيه الأفكار للنواحى التاريخية الكامنة من حياة فزان الحديثة والتى تصلح كدروس لنا وتجارب المستقبل .

١٤ — وهذه النواحى لا يمكن فصلها عن حياة ليبيا وبرقة ، فلنبدأ بإعطاء صورة من اعتداء إيطاليا على هذا الركن من العالم ، ثم ننتقل إلى تقسيم العمليات الحربية التى كانت فزان مسرحاً لها حتى دخلت قوات فرنسا المحاربة هذه المنطقة وحررتها كما تقول .

(يتبع)   أحمد رمزى

القبـــائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

— ٧ —

من المستحسن بعد أن قدمت في المقال السابق نبذة عن أربع قبائل أن أستقصي خصائص كل قبيلة على حدة مشيراً إلى ما تشارك فيه غيرها أو أحقق ما ينسب إليها وهو بغيرها أحق .

١ — إذا أضيف الاسم المقصور إلى ياء المتكلم ظل على حاله من بقاء الألف كما هي فيقال فتاى وعصاى ، أما إذا كان قبل ياء المتكلم ألف من حروف الجر « إلى وعلى » أو من الظرف « لدى » فإن الألف تدغم في ياء المتكلم فيقال إليَّ وعليَّ ولديَّ . هذا هو الشائع المستعمل في القبائل العربية ما عدا هذيلاً فإنها تستعمل الجميع استعمالاً واحداً وهو بالإدغام فيقولون فتيَّ وعصيَّ مثل : إليَّ وعليَّ . قال شاعرهم :

سبقوا هويَّ وأعنقوا لهواهمو فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقد قرأ عبد الله بن أبي إسحق وعاصم الجحدري « قال هي عصيَّ أتوكأ عليها » كما قرأها وعيسى بن عمر « فمن تبع هديَّ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وما شابه ذلك من المقصور المضاف إلى ياء المتكلم قرئ به على لغة هذيل ، اما قراءة الجمهور فهي على اللغة المشهورة .

٢ — « لمَّا » يدل في المشهور على الحين أو الشرط إذا كان قبل الفعل الماضي كقوله تعالى : « ولمَّا فتحوا متاعهم وجدُوا بضاعتهم رُدَّت إليهم » أو يدل على النفي مع الجزم للمضارع إذا سبقه كقوله تعالى : « كلا لـما يقض ما أمرَه » أما لغة هذيل فيستعمل فيها بمعنى إلا الاستثنائية تقول أقسمت عليك لمَّا فعلت كذا أي إلا فعلت كذا . وقد قرأ عاصم وابن عامر وحمزة وأبو جعفر « إن كل نفس لمَّا عليها حافظ » بتشديد الميم بمعنى إلا « وإن » في هذه الآية على قراءتهم نافية أي ما كل نفس إلا عليهـا حافظ . كما جاءت لمَّا بمعنى إلا في قراءات صحيحة في سور أخرى .

٣ — ما كان اسما على وزن فَعْـلَة مفتوح الفاء وبعده واو ساكنة أو ياء ساكنة فإنه في اللغة المشهورة يجمع جمع مؤنث سالماً على فَعْـلات بإسكان العين بعد الفاء المفتوحة يقال في جمع بيضة وعورة « بيضات وعوْرات » لـكن هذيلاً تحرك حرف العلة بالفتح تبعاً لفاء الكلمة يقولون بيضات وعوَرات بفتح الياء والواو . وذكر في تفسير البحر أن الأعمش قرأ « ثلاث عوَرات لـكم ... أو الطفل الذين لم يظهروا على عوَرات النساء » بفتح الواو على لغة هذيل . أما الجمهور فقرءوا بالإسكان لـكن صاحب البحر نقل نسبة هذا الفتح إلى هذيل وبني تميم .. ونحن نعلم أن تميماً مبدؤها الغالب إسكان الوسط المتحرك تخفيفاً كما أنه ليس هنـاك علاقة مجاورة بين القبيلتين حتى تشتركا في ظاهرة قوية كهذه ، ويرجع هذا الخلط إلى أن ابن خالويه في كتاب شواذ القراءات قال : إن بني تميم يقولون روَضات وجوَزات وعوَرات بتحريك الواو بالفتح وسائر العرب بالإسكان . لـكن المشهور في كتب النحو والصرف أن تحريك الواو والياء في مثل جوزات وبيضات هو لغة هذيل بن مدركة وهو ما أرجح صحته لما سبق أن قدمته ، والقراء نسبه إلى هذيل فحسب وقد روى عليه :

أبو بيَضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح

٤ — الفعل أو الاسم المنتهي آخره بياء مكسور ما قبلها تشبع حركته وهي الـكسرة في وصل الكلام ووقفه تقول يقضي والقاضي ... الخ أما هذيل فإنها في وصل الكلام تجتزئ بالكسرة عن الياء ، ولهذا عند الوقف يسكن ما قبل الياء فتضيع وقد أنشد على لغتهم :

كفاك كف ما تُليق درهمـــا

جوداً وأخرى « تعط » بالسيف الدما

وجاء في قراءة سبعية كثيرة ... ذلك ما كنا نبغ ... «يوم تأت ... والليل إذا يسر ... وهو الكبير المتعال ... الذين جابوا الصخر بالواد » فبعض القراء يسير على طريقة الهذليين في الوصل والوقف فيسكن ما قبل الياء ويجتزئ بالـكسرة وصلا وبعضهم يسير على اللغة المشهورة فيقرءون المتعالي ويسري والوادي .. الخ في الوقف والوصل .

٥ — ذكرت في مقالي سابق أن تميما وقيسا وأسداً وربيعة

يكسرون حرف المضارعة إذا كان الهمزة أو التاء أو النون أما قبيلة هذيل فإنها تكسر حرف المضارعة إذا كان ثانى فعله الماضى مكسوراً للاشارة إلى أنه فى ماضيه مكسور وأن بعض قبيلة كلب من قضاعة يكسرون جميع أحرف المضارعة أما بهراء وهى من قضاعة فإنها تكسر ما كان أوله التاء فحسب ومع ذلك فإن بهراء هى التى سمى باسمها هذا الكسر فقيل «تلتلة بهراء» فأصبح كثير من الكتاب يخطئون فيحسبون كسر حرف المضارعة على إطلاقه من لهجة بهراء تأثراً بما اشتهر عن ذلك بأنه تلتلتها وبعضهم يخطئ فينسب بهراء إلى تميم وقد رأينا أن بهراء لا تكسر حرف المضارعة إلا إذا كان تاء وعلى العموم فإن القبائل الشمالية وبخاصة النجدية هي التى اشتهرت بكسر حرف المضارعة على التفصيل السابق ولم يشركهم فى بعض هذا إلا هذيل التى تعتبر فى دائرة الحجازيين فيما كان ثانى ماضيه مكسوراً .

وقد رويت أبيات كثيرة فى كتب النحو والمعاجم وفيها كسر حرف المضارعة من ذلك قول الشاعر :

لو قلت ما فى قومها — لم تِيثَم — يفضلها فى حسب وميسم

أراد لو قلت : ليس فى قومها أحد يفضلها فى الحسب والميسم لم تكن آثما .

وهذا البيت ينطق فى بهراء وتميم وقيس وأسد وربيعة وكلب وهذيل بكسر حرف مضارعه لأن ثانى ماضيه مكسور «أثِم» ولأن أول مضارعه التاء ومثل هذا البيت قول الآخر :

قلت لبواب لديه دارها تِيذن ؟ فإنى حموها وجارها

أراد : أتأذن ؟ فحذف همزة الاستفهام وقد تقدم بعض ما قرئ به فى مقال سابق .

٦ — نسب صاحب البحر إلى هذيل أنها تبدل الواو المكسورة المصدرة همزة وذلك عند تفسير قوله تعالى «فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه» حيث قال «قرأ ابن جبير من إعاء أخيه بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا إشاح وإسادة فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل يبدلون الواو المكسورة الواقعة أولا همزة» وقال الصبان فى حاشيته على الأشمونى : وقرأ أبى ابن كعب وابن جبير الثقفى من إعاء أخيه ...

ونقل عن المرادى : قوله «رأيت فى بعض الكتب أنه لغة هذيل» اهـ ولعل بعض الكتب هو تفسير أبى حيان . أما لسان العرب فقد نسب ذلك إلى قبيلة تميم حيث يقول : إقاط ووقاط جمع وقيط . ولغة تميم فى جمعه إقاط مثل إشاح يصيرون كل واو تجيء على هذا المثال ألفا «ولعله أراد بهذا المثال» ما كان على وزن فِعال أو فِعالة حيث ورد وشاح وإشاح ووقاط وإقاط ووكاف وإكاف ووعاء وإعاء ووسادة وإسادة وورانة وإرانة ووفادة وإفادة ووقاء وإقاء» وقد يكون أراد بهذا المثال ما كان واواً مكسورة فى أول الكلمة وهو الأظهر فقد ورد «ورب وإرب وورث وإرث ووصر وإصر» حيث يوافق الصبان على الأشمونى فى إطلاقه على ما كان واواً مكسورة مصدرة .

وقد نقل شارح القاموس أيضاً ما ذكره صاحب اللسان . ويختلف اللغويون فى جواز هذا الإبدال وإطراده والقياس عليه أو أنه قاصر على السماع ! فأبو عثمان المازنى يرى أنه مقيس مطرد وغيره يقصره على السماع .

ونحن حين نناقش هذا الإبدال ونريد الترجيح بين نسبته إلى القبيلتين وفى هذه الكتب نجد أنه بتميم ألصق وإليها أقرب وأن ما ذكره أبو حيان وما عزى إلى المرادى فى حاشية الصبان سهو منهما أو خطأ فقد بينت فى المقال الثانى أن هذيلا كالحجازيين لا ينبرون . فإذا كانوا فى المهموز يخففون همزته فكيف يهمزون ما ليس كذلك ! وبينت أيضاً أن قبيلة تميم أحرص العرب على النبر كما أنها قد تلجأ فى إبانة الحرف إلى ما هو أقوى منه وأوضح حتى تنتقل بالهمزة إلى العنعنة وبعضها ينتقل بالياء إلى الجيم فى العجعجة . أما القياس وعدمه فيحتاج إلى قرار يصدره المجمع اللغوى فى جواز ذلك أو قصره على السماع .

وهناك إبدال فى الواو المضمومة المصدرة ولكن لم ينسب إلى قبيلة بعينها أو جهة بخصوصها وقد نقل صاحب لسان العرب عن المازنى قوله : كل واو مضمومة فى أول الكلمة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وإن شئت قلبتها همزة فقلت وُعِد وأُعِد ووُجوه وأُجوه ووُورى وأُورى ... » وورد «وُقتت وأُقتت» وذكر أبو حيان فى تفسيره «قرأ الجمهور أقتت بالهمز وشد القاف وقرأ أبو الأشهب وعمرو بن عبيد وعيسى بن عمر وأبو عمرو بالواو

وشد القاف قال عيسى وهى لغة سفلى مضر » اه . وسفلى مضر هى القبائل التى تقارب النجديين أو هى النجديون أما عليا مضر فهى التى تقارب المدينة وما حولها ودنا منها فإما أن « وقت » بخصوصها هى التى ينطقها سفلى مضر وإما أن يراد بسفلى مضر القبائل القريبة جداً من أهل الحجاز الذين لا ينبرون وهم بعض قيس المجاورون للحجازيين حيث إن الهمز من خصائص النجديين وقلب الواو همزة وهى مضمومة بهم ألصق ، ولهجتهم أنسب ، وبخاصة التميميون وقد قيل تميم بن أد وأصله ود . كما ورد فى الواو المصدرة المفتوحة هذا الإبدال بقلة : ورخ وأرخ وذخ وأخ .

ومما يؤيد كون قلب الواو المكسورة من خصائص تميم أن المزهر نسب الإكاف بالهمزة إلى تميم والوكاف بالواو إلى الحجازيين وهذيل تجاورهم أشد المجاورة .

٧ — « متى » اسم يدل على الاستفهام أو الشرط يفيد معنى الزمن فى كليهما فمن الاستفهام قوله تعالى متى نصر الله ومن الشرط قول الشاعر :

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد حطباً جزلا وناراً تأججا

أما لغة هذيل فى « متى » فهى استعمالها حرفاً بمعنى « من » الجارة فتعمل عملها وبمعناها سمع من قولهم « أخرجها متى كمه » أى من كمه وروى :

شربن بماء البحر ثم ترفعت   متى لجج خضر لهن نئيج

أراد من لجج فخرجت فى لغتهم عن الأسمية والاستفهام والشرطية . والقرآن الكريم لم تقع « متى » فيه إلا استفهامية

٨ — « الأم » ننطقها القبائل بضم الهمزة ما عدا هذيلاً وهوازن فإنهما يكسران همزتها إذا سبقتها الياء أو الكسرة وقد قرأ بكسر الهمزة « فلامه الثلث » حمزة والكسائى وقرأ الباقون بضمها .

٩ — تقول هذيل أرجعته وغيرها يقول رجعته ، وجمهور القراء قرءوا ما ورد فى القرآن من الثلاثى : فإن رجعك الله . فرجعناك إلى أمك . ترجعونها . يرجع بعضهم إلى بعض القول وحكى أبو زيد الأنصارى أن المفضل الضبى قرأ : أفلا يرون أن لا يُرجع إليهم قولا . وقال رب أرجعون » من الرباعى على لغة هذيل

١٠ — هذيل وعقيل وطيئ يبنون اسم الموصول الدال على الجمع فى حالة الرفع على الواو وفى حالة النصب والجر على الياء وقد جاء على لغتهم :

نحن اللذون صبحوا الصباحا   يوم النخيل غارة ملحاحا

١١ — اشتهر عن هذيل ما يسمى الفحفحة ويعرفونها بأنها قلب الحاء عيناً يقولون فى حتى عتى ، وذكر السيوطى فى كتاب الاقتراح فى أصول النحو أن فحفحة هذيل هى أن يجعلوا الحاء عيناً فيقولون فى هل عل . ولست أدرى من أين جاء بهذا الذى لم يقل به أحد ، بل إن الحاء وإبدالها عيناً لم يذكروا لها إلا عتى فى حتى مما يدل على أن قلبها إنما هو فى هذه الكلمة بخصوصها ويؤيد ذلك ما روى أن عبد الله بن مسعود قرأ : عتى حين ، فلو كان الإبدال مطرداً لقرأ : عتى عين . والذى يبدو لى أن الهذليين يجهرون بالحاء إلى أن تقارب العين وظهر ذلك فى «حتى» بوضوح لجعلها إلى العين أقرب ثم طال بها العهد فصارت فى استعمالهم بخصوصها عتى .

١٢ — كذلك اشتهر عن هذيل والأزد وقيس وسعد بن بكر من قيس والأنصار ما يسمونه الاستنطاء وهو أن يجعلوا العين الساكنة قبل طاء نوناً يقولون أنطى فى أعطى .. والحقيقة أن ما ورد من هذا الاستنطاء هو فى أعطى وتصريفها فحسب ، وهى التى استعملها الرسول فى بعض كتبه حيث قال وأنطوا الثبجة وقرئ عليها إنا أنطيناك الكوثر ، وروى الحديث لامنطى لما منعت ولا مانع لما أنطيت . ولم يرد إلينا أنهم قالوا فى أعطف وأعطب وأعطر وما شـــابه ذلك : أنطف وأنطب وأنطر . ويخيل إلى أيضاً أن العين فى أعطى دخلها ما يشبه الغنة والإدغام فحولها الأنف إلى ما يشبه النون وبمضى الزمن ورثت على أنها نون وصارت لفظة أنطى مرادفة لأعطى كما أصبحت عتى مرادفة لحتى وليس كل عين ساكنة قبل طاء ينطقونها نوناً ولا كل حاء يبدلونها عيناً ، أما الفحفحة التى ذكرها السيوطى فى الاقتراح فلم أجد أحداً ذكرها غيره وقد تكون الهاء فيها نالت من التقوية عند البدء بها ما جعلها تشبه العين . ولم يرد غير : ألا لغة فى هلا وأل لغة فى هل ولم يقل أحد علا ولا عل .

١٣ — ذكر ابن الجزرى فى غاية النهاية أن هذيلا تكسر أول الماضى المبنى للمجهول إذا كان مضعفاً فيقولون فى رُدّ بالضم

حول الفكر العربي :

الغرض من دراسة الفكر العربي

للأستاذ عبد العزيز محمد الزكي

- ٢ -

إن كانت نهضتنا الثقافية تحتاج إلى تقوية شخصيتنا العربية ، عن طريق تجسيم المبادئ الإسلامية فى ظروف الحياة المصرية ، فإنها تحتاج كذلك إلى أن يضع العرب أيديهم على مواضع عبقريتهم التى لستها الحضارة الغربية ، وعن معالمها الأصلية التى لن تتضح إلا إذا لجأ العرب إلى دراسة تراثهم الفكرى الذى يعتبر الوثيقة الصادقة الوحيدة التى يختبئ فى ثناياها سمات النبوغ العربى ، وقدراته الفذة ، والذى يسوق البحث فيه إلى معرفة اتجاهات هذا الفكر التى إذا أتيح لها فرص القيام بالأعمال التى تلائمها ، وتتمشى مع نوازعها ، مهرت فى أداء كل ما تكلف به ، وأظهرت براعة فى كل ما يطلبه منها من واجبات سواء أكانت قومية أم دولية . ولذلك يجب على كل من يشتغل بالفكر العربى من العرب أن يراعى هذه الحقيقة ، ويضعها نصب عينيه ، ولا يقف عند حد تحليل العلوم العربية وفنونها ، وإنما يجب أن يتعدى مثل هذه الأبحاث ، ويرمى إلى إبراز مؤهلات العقلية العربية وكفاياتها ، ويهدف إلى رسم الطرق التى تصمم أسس ثقافات جديدة تتفق مع روح المدنية الحديثة ، وتحقق للعرب مآربهم فى الحياة ، ولا ينبغى لأحد من العرب أن يحاكى المستشرقين فى دراستهم للفكر العربى .

لا شك أن المستشرقين هم رواد الباحثين فى الفكر العربى ، وإن كنا نقدر هذا السبق إلا أنهم لم يوجهوا البحث فيه وجهته الصحيحة ، وذلك لأنهم ما أقبلوا على دراسته فى أول الأمر إلا بتأثير نوعين من البواعث : أولها حب الاستطلاع ومعرفة مدى ما وصلت إليه الثقافة العربية من رقى ، فى وقت كان الغرب يعيش على الفطرة ، فبعثت دراستها فى نفوس الغربيين الحسد والغيرة من تلك الثقافة التى اعتمدوا عليها فى غذائهم الروحى

رِدٌ بالكسر ، وأن عاصما قرأ « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » بكسر الراء . ويروى أبو حيان أن هذا الكسر لغة بنى ضبة ، وهم بنو عمومة تميم حيث يقول : « قرأ علقمة ويحيى بن وثاب والأعمش » وجدوا بضاعتهم رِدت إليهم « بكسر الراء وهو لغة بنى ضبة » . أما إتحاف البشر فقد نسب قراءة الكسر إلى الحسن فحسب ، واكتفى بأن قال إنها لغة ولم ينسبها إلى قبيلة . ولعل الكسر تشترك فيه القبيلتان .

١٤ — نِعِمَّ إذا اقترنت بها « ما » تنطقها هذيل بكسرتين فى أولها . أما غيرهم فبإسكان العين أو اختلاس الحركة وقرئ بذلك جميعاً . وهذا وما ينسب إليهم أنهم يقولون المِرء بكسر الميم يقوى اشتراكهم مع ضبة .

١٥ — من ألفاظهم : السرحان والسِّيد بكسر السين معناهما الأسد . الجحمة : النار . انتمص الرجل : وتر فلم يطلب ثأره . الجمحوش والجمموس : النخل . التكريم : التكثير . الحساب : الجمع الكثير من الناس . العنج : الرجل . الشبج : الباب العالى البناء . رجل عوّق : جبان . الهكم : السمال . لدّه عن الأمر : حبسه . القعقماني : الجزار . السنائم : الطرق فى الجبال واحدتها سنيمة . الخلوج من السحاب : المتفرق . المعصوب : الجائع الذي كادت أمعاؤه تيبس جوعاً . العبر : جماعة القوم . ويقولون : البوع وغيرهم الباع . ويقولون : السميج وغيرهم السمج . ويقولون صلوته : أصبت صلاة أى ظهره وغيرهم : صليته . وهم وبنو ضمرة يقولون اليازع وغيرهم الوازع . وهم ومن والاهم من أزد السراة يقولون الخزومة ومعناها البقرة . وهم يقولون فى نجد : الساكن الوسط نجد بضمتين . ويقولون : استراب به . وغيرهم : رابه . ويشاركون الحجازيين فى أنهم لا ينبرون . ويشاركون النجديين فى أنهم يقولون الحج بكسر الحاء . وتقول هذيل الضحضاح بمعنى الكثير . واعثقت الأرض : أخصبت . والليث معناه اللسن البليغ .

عبد الستار أحمد فراج

محرر بالمجمع اللغوى

فترة طويلة من الزمن ، وأثارت الحقد على حضارة فشلت حملاتهم الصليبية فى القضاء عليها ، فحاول المستشرقون الحط من قيمة هذه الثقافة بالتشكيك فى استعدادات العرب العقلية . والباعث الآخر لا يخرج عن دوافع استعمارية سمت عن طريق الثقافة ، كما سمت عن طريق غيرها من الوسائل : تحطيم روح أمة لم تتهاون فى مقاومة المستعمرين ؛ وقصدت إخضاع العالم العربى بإضعاف الثقة فى مقوماته العقلية وإشعاره بحاجته إلى غيره من الأمم الناهضة ، فيضطر إلى أن يخضع ويقبل سيطرة الغرب ، ويذعن لسيادته . فلا عجب إذاً من تحامل المستشرقين على العرب ، ولا غرابة إذا زعموا أن العقلية العربية عقلية سامية قاصرة عن الخلق ، عاجزة عن استنتاج المعانى المجردة ، غير قادرة على تجاوز الجزئيات المحسوسة ، أو إذا ادعوا أن العرب استمدوا علومهم وفلسفتهم من قدماء اليونانيين الغربيين ، ولا فضل لهم فيما عرفوه من فنون وآداب ومدنية ، فإن معظمها مأخوذ من الفرس والهنود .

ولكن لما أخذت النزعة الاستعمارية تخف باستمرار مقاومة العرب لقوى الاستعمار ، ومناهضة الآراء الاستعمارية ، ومحاولتهم الدائبة لرفع مستواهم المعنوى والمادى ، وإظهار قوة مواهبهم ، وقدرتهم على مجاراة المدنية الحديثة ، والمساهمة فيها ، أخذت تلك الآراء المتطرفة فى العقلية العربية ، وبدأ المستشرقون ينظرون إلى البحث فى الثقافة العربية على أنه ضرب من الهواية العلمية ، ينعمون فيها بفهم فكر ليس من نتاج عقول شعوبهم ، أو يظهرون قسطاً من البراعة فى كشف النقاب عن أسرار إحدى الثقافات القديمة ، أى لا يبغون غير متعة روحية أو نزهة علمية ، ولا ينشدون الكشف عن خواص العقلية العربيــة ومميزاتها ، ولا يهدفون من وراء ذلك إلى إحياء تراث العرب وبعثه فى صورة تناسب روح الحياة الحديثة ، وتدفع بالشعوب العربية إلى الأمام .

وهذا ما يجب أن يطالبه كل من يبحث من العرب فى آثار ثقافته ؛ ولا يكتفى بدحض مزاعم المستشرقين وإدعاءاتهم ، أو يرضى باقتفاء أثرهم فى مناهج أبحاثهم العلمية الدقيقة التى تتوخى تحليل الواقع تحليلا موضوعياً بدون أن تهتم بالاستفادة منه فى ترقية مستوى العرب الثقافى ، أى لا تصل هذه الدراسات ماضى العرب بحاضرهم ، أو تربط حياتهم فى عهد الأمويين والعباسيين بحياتهم فى العصور الحديثة ، ولا تنظر إلى التراث العربى على أنه أحد التجارب الثقافية التى مرت بالشعوب العربية ، وأنه يجب أن توجد علاقة وثيقة بين مختلف المراحل الثقافية العربية تبدو فى تطورها الدائم ، وتنتهها التواصل نحو الرقى والتقدم ، وأن الحضارات المعاصرة يجب أن تهتدى بالحضارات القديمة ، وتتفادى ما وقعت فيه من أخطاء عاقت سيرها الطبيعى . فلو هدف العرب من دراسة فكرهم القديم للكشف عن مقوماتهم الفنية الأصيلة لهيئت لهم السبل لتقوية ما يكتنفها من ضعف ونقص ، وإبراز ما تشتمل عليه من نبوغ ومهارة فى مختلف نواحى النشاط الإنسانى ، ولتجنبوا كل ما اقترفته سابقاً من أغلاط ، وتمثلوا بكل ما أظهرته من براعة .

إن محاولات كثير من الكتاب لإثبات قدرة الفكر العربى على الابتكار والخلق يستهلك جهوداً عظيمة ، تصرفهم عن البحث الحق فى التراث العربى ؛ وتشغلهم بكتابات بيزنطية لا تقدم ولا تؤخر . فبدلا من أن نتطاحن فى سبيل التدليل على قدرة العرب على تأليف العلوم ، ووضع المذاهب ، وتكوين النظريات ، يجب أن نفتش عن الأسباب التى دعت العرب إلى الأخذ من غيرهم ، ونتمم النظر فى الظروف التى نشأت فيها الحضارة العربية ، وتطورت . فإن انتقال العرب المفاجىء من بلاد بدوية إلى بلاد ذات مدنية عريقة ومجد ثقافى ، أصابهم بنوع من الذهول ، شل تفكيرهم ، وأفقدهم القدرة على التأمل الحر . ولما حاول العربى أن يندمج فى الحياة الجديدة أخذ يحاكى الشعوب الخاضعة لهوهى تفوقه حضارة ومدنية ، ويردد علومها وفلسفاتها ، حتى أصبح كأنه صاحب هذه الحضارات . ولكنه ما كاد يلم بمختلف الثقافات حتى تضاربت فى ذهنه ، وتشابكت الاتجاهات الشرقية والغربيــة ، فأدى ذلك إلى أزمة روحية ظهرت جلية واضحة فى نوبة الشك التى طرأت على نفس الغزالى ، فعبرت بقوة وصدق عن مدى اضطراب الحياة الروحية فى العالم العربى نتيجة لتصادم المذاهب اليونانية بالأفكار الفارسية والهندسية فى العقلية العربية المتشبعة بتعاليم الدين الإسلامى ، فانتاب العرب حيرة فكرية بلبلت أذهانهم وشتتتها .

فالبيئة الثقافية التى نشأ فيها الفكر العربى هى التى لم تسمح

له بأن يتدرج فى مراحل النضوج ، مرحلة بعد مرحلة ، وإنما ساقته دفعة واحدة من حالة بدوية إلى حالة راقية ، لم تمهله لينمو نمواً طبيعياً ، وعجلت بنضوجه قبل الأوان فلم تتح له فرص الترقى، أو التمرن على التفكير الذاتى المستقل ، لأنها زودته بثقافات تامة التكوين ، بهرته ، فتعلق بها تعلقاً شديداً لجدتها عليه ، فوقع فى أسرها ، ولم يستطع أن يتخلص منها ، ويتمثلها ، لأن ذلك يحتاج إلى فكر تعود التأمل العميق ، ومارس الحياة الثقافية مدة طويلة .

وليت تأثير هذه البيئة الثقافية المعقدة فى الفكر العربى وقف عند هذا الحد ، بل كما عجلت بنضوجه عجلت بإطفاء جذوته بعد أن أجهدته ، لدرجة أنه بذل كل طاقاته فى استيعاب شتى الثقافات الشرقية والغربية ، فأصابه ضرب من الجمود والركود نتيجة لهذا الإجهاد المفتعل أقعده عن أن ينتج إنتاجاً عربياً خالصاً يتميز به ، فأوحى ذلك للمستشرقين بأن العقلية العربية عاجزة عن الإبداع العلمى ، ولم ينصفوا العرب ويعلنوا أن هذا العجز خارج عن إرادة عقليتهم ولا يرجع إلى أى نقص فيها ، وإنما يعود إلى اضطراب الظروف الثقافية التى نشأت فيها هذه العقلية .

بالرغم من كل هذا نبغ بين العرب أفراد قلائل استطاعت عبقريتهم أن تتغلب على هذه الظروف المضطربة ، وتتجاوز ما هو مألوف بينهم من علوم وفنون ، وأبرزت قدرة العقلية العربية فى المجال العلمى ، وابتكرت علوماً جديدة لم ينتبه إليها عامة علماء العرب . ولم يساهم واحد منهم فى ترقيتها . ومن بين هؤلاء المفكرين الأفذاذ عبد القاهر الجرجانى الذى نجح فى وضع نظرية جديدة فى الأدب لم يعهدها العرب من قبله ، وهى تعتمد على إنعام الذوق فى النصوص الأدبية وكشف أوجه البلاغة فيها ؛ إلا أن هذا المذهب سريعاً ما ابتلعته النظريات الشائعة التى تستند على المنطق الأرسطى ، ولم يجد له من الأنصار الأكفاء من يرعاه من بعده حتى يستكمل تكوينه . وذلك لإيمان العرب الساذج بسحر المنطق وضرورة تطبيقه على كافة العلوم ليأخذ الصبغة العلمية فى ذلك الوقت . وكذلك الحال بالنسبة لابن خلدون الذى وفق فى تأليف أصول علم جديد أطلق عليه « علم العمران » ويعرف الآن باسم « علم الاجتماع » ابتكرته قريحته التى شغفت بالتاريخ وولعت بملاحظة أحوال مختلف البلدان التى رحل إليها وتجول فى ربوعها ، واكتسبت ملكات التفكير المنظم من دراسة الفلسفة بفروعها فساعدته هذه الدراسات وغيرها من العلوم والفنون على استخلاص هذا العلم الذى افتقر من بعده لمن يتعهده ، حتى نسى ونسب وضعه إلى أوجست كونت الفرنسى الذى ظهر بعده بقرون

فأحسب أنه يبدو أن اضطراب البيئة الثقافية ، وتعقدها هو أصل داء الفكر العربى وعلة أخذه من ثقافات الغير بدون أن يضيف إليها شيئاً كثيراً . ولذلك يجب أن نتعظ بما أصاب عقلية أسلافنا من عقم، ونجنب فكرنا الحياة فى أى جو ثقافى خانق يعوق انطلاقه فى عالم الخلق ، ويعرضه لنفس الاتهام السابق ، فتتأكد مزاعم المستشرقين فى العقلية العربية . وأول خطوة يجب أن نخطو فى هذا السبيل هو أن نهيئ لأنفسنا بيئة علمية تحث عقولنا على أن تسلك سبلها الطبيعية ، ولا تنخدع ببريق الثقافات الغربية الحديثة ، أو تغتر بما وصل إليه الغرب من مدنية ، وتقبل عليها إقبالا أعمى ، وتظن أن حشو أذهاننا بكافة العلوم والفنون الغربية يعد دليلا على التمدن الصادق ، ويتخذ مقياساً للتثقيف الكامل ، وتغفل عن أن الثقافات الغربية بما بلغته من رفعة وعمق ، لا تستطيع أن تنضج العقلية العربية التى تختلف مقوماتها الروحية عن مقومات العقلية الغربية المادية. فلا ينبغى بأى حال أن يقتصر أحد من العرب على التزود بعلوم الغربيين وفنونهم ، بل يجب عليه أن يعتمد اعتماداً رئيسياً فى التثقيف على نتاج عقول أمته ، فينهل من معين الثقافات العربية ، وما يشابهها من الثقافات الشرقية ؛ لأن فكره فى كنفها يشعر باطمئنان وحرية وانسياب فيستجيب لها ، ويبدع فى شتى نواحى النشاط الفكرى ، ولا يحس بضغط أية ثقافة غريبة عن مزاجه تلزمه أن يطرق طريقها قسراً ، أو تجبره على أن يتشكل باتجاهاتها بالرغم منه ، فتعرقل تقدمه ، وتهدم ابتكاره .

وهذا لا يعنى أن العربى لا يجب أن يهتدى بتجارب الغرب الثقافية فى تنمية علومه وفنونه ، فإن له جهاداً فكرياً عظيم الشأن لا يمكن لأمة تريد أن تنهض علمياً أن تستغنى عنه ، أو لا تنتفع بما كسبه هذا الفكر للانسانية من خيرات ، كان لها

أكبر الأثر فيما نحن فيه من حضارة . إلا أنه لا يجوز أن تترك لهذا الفكر أن يسيطر على عقولنا ، أو يتحكم فى أهوائنا ، حتى لا نقع فيما وقع فيه الغزالى من قلق نفسى وارتياب عقلى ، ونعانى شعوراً مؤلماً بالنقص فى قدرتنا العقلية من جراء تضارب نزعاتنا الشرقية بالنزعات الغربية ، الذى قد يحول دون تقدمنا العلمى ، ويجعلنا نحس بحاجتنا الدائمة إلى عون الغرب . فإعداد الجو الثقافى الملائم لطبيعة العقلية العربية يعتبر الدعامة الأساسية التى تربى عليها النوازع الفكرية تربية حرة تساعد على تشييد حضارة جديدة تنافس الحضارة الغربية .

تلك الحضارة التى لم تعرف طريق المجد إلا بعد أن حطمت قيود الكنيسة التى فرضتها على الفكر ، وتخلصت من استبداد رجال الدين الذين حبسوا العقلية الغربية داخل نطاق التعاليم المسيحية الروحية التى تخالف اتجاهات الغرب التى تميل للمادية ، فكانت حركة النهضة الأوربية التى استعانت بكفايات الفكر الغربى القديم ، الذى يتمثل فى الفكر اليونانى ، فقامت النهضة الحديثة على أساس بعث ثقافة اليونان ، واستغلال مقوماتها فى خلق حضارة جديدة . وفى هذا الجو الثقافى نجح الفكر الغربى فى أن ينفض عن نفسه ذلك الخمول الذى نشره طغيان الأفكار المسيحية على الروح الغربية ، ووفق فى وضع علوم مبتكرة ، واختراع صناعات متنوعة وآلات كثيرة .

فلم لا يحاكى العربى الغربيين فى هذا العمل ، ويكف عن تقليدهم فى عاداتهم وأخلاقهم ، ويكتفى بما أخذه منهم من ثقافات ويكشف عن مزايا العقلية العربية عن طريق دراسة مخلفات الأفذاذ من العرب أمثال عبد القاهر الجرجانى وابن خلدون وغيرهما دراسة تحليلية ، يحاول أن يستشف منها ميول الفكر العربى الأساسية ، ثم يسعى فى أن يبث هذه الميول فى عقول صغارنا ، حتى يأتى ذلك اليوم الذى نرى أثرها ظاهراً فى كل ناحية من نواحى الحياة العربية .

* * *

ننتهى من هذه المقالة والتى قبلها إلى أن تحقيق نهضتنا الحديثة يعوزه تعاون رجال الدين ورجال الفكر فى جميع البلدان العربية على خلق وسط حضارى تنبسط فيه العقلية العربية ، وتنساب حسب سجيتها ، لا يعوقها أى مؤثر خارجى ولا يفسدها أى عيب داخلى . ولذلك يجب أن يساهم كل من هاتين الفئتين من الرجال فى تنقية الأخلاق العربية ، وتوجيهها أثناء هذه التنقية توجيهاً اجتماعياً صالحاً يتفق مع التعاليم الإسلامية ، ويعود على الوطن العربى بالخير ، ويكسب العرب شخصية قوية ذات لون خاص يميزها عن غيرها من الشعوب . ويمكن أن يستغلوها فى مواجهة المشاكل القومية أو الدولية كما يجب أن يشتركا فى التنقيب عن خواص العقلية العربية ، حتى يمكن لرجال التربية من وضع الطرق التربوية الصحيحة التى تتسق مع العقلية العربية وتنميها إلى أقصى حد يمكن أن تبلغه من الكمال ، ثم استغلالها فى خلق ثقافة عربية جديدة ، تتصل بالحضارات العربية السابقة وتعبر عن حياة العرب الوجدانية والعقلية فى صورة تنسجم مع روح المدنية الحديثة .

عبد العزيز محمد الزكى
مدرس الآداب بمدرسة صلاح الدين الأميرية بكفر الزيات

بين بدر وأحد :

الشهيدان الصغيران

للأستاذ عمر عودة الخطيب

— ١ —

قال الفتى عمير بن أبي وقاص لصاحبيه أسامة ورافع وكانوا يلعبون في ظاهر المدينة ، وقد أشرفوا على بيوتها ومساربها :

— هل تريان ما أرى يا صاحبي ؟!

— وما ذا ترى !

— أنظرا . فهاتان رايتان تعلوان وتخفقان وما أحسبها إلا الحرب .

— أجل . واسمع هذا التصايح وهذه الجلبة ، وانظر الغبار يجلل الدور ويذهب في السماء ...

— لئن كانت الحرب فوالله لنذهبن مع القوم ، نقاتل في سبيل الله ، ونجاهد تحت لواء رسول الله ...

— لكننا نخشى أن يردنا رسول الله لصغر سننا يا عمير .

— وماذا علينا أن نسير في إثر الجيش، ونتوارى عن الأعين، ونختفي وراء الآكام ، حتى تبدأ المعركة ، وعندها نبرز إلى الميدان ونقاتل المشركين ، ونساهم في إعلاء كلمة الله ، ونستشهد في سبيل هذا الدين ...

— إنه الرأي ورب الكعبة !.

وانحدروا إلى المدينة مسرعين ، وقد ذهب كل إلى داره ، يكتم الخبر عن أهله ، ويتجهز للحرب ، ويستعد للقتال ، وكانوا قد تواعدوا على أن يلتقوا جميعاً أمام المسجد ، بعد صلاة الفجر . وأعد كل منهم عدته ، وناموا ليلتهم تلك هانئين وادعين ، يحلمون بالجهاد والنصر المبين ...

— ٢ —

هب (عمير) من نومه ، طرب الفؤاد ، رضى النفس ، هانئ البال ، ومشى نحو النافذة ، يسرح طرفه في ذلك الأفق البعيد ، وكان الليل يتلفت ويسرع في الهروب ، وقد ألح عليه الصبح مسرعاً في السير ... فاستجلى (عمير) في هذا المنظر الرائع معاني الحق والحرية ... تطارد الباطل والعبودية .. وراقه أن ينهزم الظلام أمام النور ، ويتوارى الليل أمام النهار ... واستبشر بهذا المنظر الساحر . واعتبره فأل خير ويمن وفتح كبير ... ورفع يديه الصغيرتين نحو السماء ، وتمتم لسانه بأحلى آيات الدعاء ... وهبت إذ ذاك نسمة رقيقة عطرة ، شرحت صدره ، وداعبت وجهه وشعره ، وكانت تلك لحظة قدسية مباركة ، رق فيها قلبه وصفت نفسه ، وغمره شعور ندى بأسمى معاني الإيمان . فذرفت من عينه عبرة غبطة وخشوع ، وسبح في بحار من الأخيلة الجميلة والأماني العذاب ... ولم يوقظه من سبحته تلك إلا صوت أمه تناديه : هلم يا عمير فأسبغ عليك وضوءك ، وتهيأ لصلاة الفجر ، فقد نادى المؤذن بالصلاة والفلاح ...

وخف عمير إلى نداء أمه ، وتوضأ ثم أخذ سمته نحو المسجد مشيعاً بنظرات عطف وحنان من أمه الرؤوم . ولم يكد يمشي بضع خطوات حتى ترامى إلى سمعه دعاء أمه له ، بأن يكلأه الله ويرعاه، فاطمأن لهذا الدعاء وفرح به ، وسره أن يكون هذا الدعاء آخر ما يسمعه من أمه ، وقبل أن يبتعد عن البيت التفت نحوه وألقى عليه نظرة أودعها كل ما في قلبه من حب وحنان نحو أمه وأبيه . وحدثته نفسه أنه ربما كانت آخر نظرة يلقيها على هذه الديار ، وبعدها يفارق هذه الدنيا إلى دار الخلود ، فترقرقت في عينه عبرة حرّى ، كانت دمعة الوداع . وما قارب المسجد حتى التقى بصاحبيه أسامة ورافع ، وقد دلفا إلى المسجد ، بعد أن التقيا في بعض طرق المدينة ، فما إن رآهما حتى افتر ثغره عن ابتسامة جميلة ، وصافحهما مسلماً ، وكانت الدمعة لا تزال حائرة في عينيه ، وحدثهما عن تلك الساعة المباركة في السحر ، وعن ذلك المنظر الفاتن الجميل ، وعما أثار في قلبه من مشاعر ، وأوحى إليه من معان وبشائر ...

وذهبوا جميعاً إلى المسجد يؤدون الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وطدوا العزم وعقدوا النية على أن يخرجوا معه في غزوته ، يضربون بأيديهم اللينة ، وسواعدهم الرقيقة هامات المشركين ، وقد كان يشعر كل واحد منهم أنه بطل كبير وأنه المسؤول وحده عن هذا الدين ، ذلك أنهم لم

رضعوا أفاويق الدعة وينشؤوا فى الحلية والدلال ... إنما تربوا فى (مدرسة الصحراء) وتتلمذوا على (بطل الأبطال[١]) .

— ٣ —

سار (على بن أبى طالب) رافعاً بيمينه راية (العقاب) السوداء ، وبجانبه رجل من الأنصار يحمل الراية الثانية ، وسار المسلمون خلفهما يقدمهما قائدهم الأعظم (محمد) قاصدين بدراً ، ليقاتلوا المشركين الذين جمعوا جموعهم ، واستعدوا للقتال ... ساروا وكانت الأرض تهتز تحت أقدامهم ، والروابى والهضاب تتجاوب مع نشيدهم ، وتجلجل السماء بتكبيرهم ... حتى إذا ما بعدوا عن المدينة ميلا أو بعض ميل ، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستعرض الجيش ويتفقد الفرسان ، ويلقى على جنوده الأوفياء تعاليم القائد الخبير ، ويحثهم على الصبر والشجاعة ويضمن لمن يستشهد فى سبيل الله الجنة .

وكان الفتيان الثلاثة قد انتحوا جانباً غير بعيد من مؤخرة الجيش ، يشجع بعضهم بعضاً ، وقد علا البشر وجوههم ، وملأت الغبطة نفوسهم . وكان (عمير بن أبى وقاص) أكثرهم توارياً حتى قال له أخوه : (مالك يا أخى ؟!) فقال : (إنى أخاف أن يرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستصغرنى فيردنى وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة) ... وفيما هما يتحاوران وإذا برسول الله قد أقبل ، فرأى هؤلاء الفتيان الصغار وقد تقلد كل واحد منهم سيفاً يلامس الأرض ، ووقفوا ينتظرون المسير . فسألهم رسول الله عما جاء بهم من المدينة ، فأجابوه بأنهم يريدون الخروج معه لجهاد المشركين ، وأنهم تعاهدوا على الشجاعة والإقدام ، وبذل الروح فى سبيل الإسلام . فضحك صلى الله عليه وسلم إعجاباً بهم ، ونظر إلى تلك الأجسام الصغيرة التى خرجت لتكون وقود الحرب ، فأخذته الرحمة لها ، وأشفق عليها أن تكون طعمة للسيوف ، وعز عليه أن يقذف بها إلى الموت ، فردهم وأبى أن يخرجهم معه . فعظم ذلك عليهم ، وحزنوا من أجله حزناً شديداً ، وجلس عمير يبكى وقد أحزنه كثيراً أن يحرم من الجهاد تحت لواء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقف أخوه وصاحباه من حوله يبكون لبكائه ويودون لو سمح له رسول الله بالخروج إلى الجهاد ، فرق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم له وأجازه وعقد له حمائل سيفه ، فوثب فرحاً نشيطاً ، يودع صاحبيه ويبعث معهما إلى أمه بتحية الجندى الباسل ، لتكون لها عزاء وسلوى ... وذهب المسلمون إلى (بدر) وقاتلوا المشركين ، وأطاحوا برؤوس الكفر ، وزلزلوا كيان قريش ، ورجعوا غانمين ظافرين ، قد أمكنهم الله من عدوهم ، ونصرهم عليه . بيد أنه كانت فى عين كل واحد دمعة حزينة ، استنزفها ذلك البطل الصغير (عمير) الذى استبسل فى المعركة بسالة رائعة ، وخاض غمرات الموت ببطولة نادرة ، حتى وقع (شهيد[١]) إيمانه القوى ويقينه الصادق ، وإقدامه العظيم ...

— ٤ —

حزن رافع وأسامة وأتراب (عمير) كلهم على مصرعه ، وجلسوا يذكرون أيامه ، ويتحدثون عن إيمانه وبطولته ..

قال رافع لأسامة :

— أتذكر يا أسامة ليلة أن التقينا به أمام المسجد !

— نعم وحدثنا حديث تلك الساعة المباركة فى السحر التى أفاضت على روحه صفاء وجمالا ...

— أرأيت إلى ذلك النور الذى كان يلتمع فى جبينه تلك الليلة ؟ وأحسبك رأيت تلك الدمعة التى كانت تجول فى عينيه ...

— نعم وأحسب ذلك نور الشهادة ، فقد كان ينم عما فى قلب صاحبه من إيمان وتضحية وإقدام . وأما تلك الدمعة فقد رأيت فيها تلك الليلة معانى الوداع ... الوداع من هذه الدنيا الصاخبة الحقيرة التى يتنازع فيها الناس على حطام فان ، ويظلم بعضهم بعضاً ، فيستعبد القوى الضعيف ، ويتعالى الغنى على الفقير

— حق ما تقول يا أسامة ! وهل نسيت موقفه حين ردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سننا يوم بدر ...

— كيف وقد كان — رحمه الله — يدافع الحياة ويطلب الموت ويبكى حرقة على الجهاد ، حتى رق له قلب الرسول صلى الله عليه عليه وسلم فأجازه .

— رحمه الله وجمعنا به فى الفردوس الأعلى من الجنة .

(١) لسعادة الأستاذ عبد الرحمن عزام باشا كتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم عنوانه (بطل الأبطال)

(١) هذا هو الشهيد الصغير الأول

وانصرف الفتيان إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم باستعداد قريش للحرب(١) بعد تلك الهزيمة التي حاقت بهم في بدر ، وحثهم على الصبر والشجاعة ، وأنبأهم بأنه قد عزم على مناجزة القوم وقتالهم وبأنه واثق بنصر الله له ، وأمرهم بالاستعداد للجهاد . فانصرف المسلمون إلى بيوتهم يتهيئون للحرب ، ويعدون السلاح ، ودخل رسول الله إلى بيته بعد صلاة العصر ومعه أبو بكر وعمر . فتقلد سيفه وقوسه وعصب بعمامته رأسه وخرج يتفقد المسلمين .

— ٥ —

سار النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة من أصحابه حتى بلغوا (أُحُداً) وقبل أن يلتحم الفريقان ، وقف القائد الأعظم ، يستعرض جنده ، ويهيب بهم أن يثبتوا ويصبروا ، ويحمسهم ويزكى نفوسهم ... وبينما رسول الله يستعرض الجيش ، إذا به يجد فتى صغيراً أخذ يتطاول على أطراف أصابعه ويعلو بنفسه ، فإذا هو (رافع بن خديج) فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من عمله ، وربت على كتفه ، وتقدم منه وسأل عما يحسن من فنون الحرب ، فقيل له بأنه رام يجيد ضرب السهام ، فسمح له بالخروج ... وتابع استعراضه حتى وقف على (سمرة بن جندب) وكان فتى حدث السن لدن العود غض الجسم ، فأشفق عليه رسول الله من القتال وأمره بأن يرجع ، وطيب نفسه ، وأعجب به ودعا له ، فحزن الفتى حزناً شديداً وانصرف باكياً دامع العين ، حسير الفؤاد على ما فاته من أمر الجهاد . ووقع له أثناء انصرافه خاطر اطمأن إليه وفرح به ، فانثنى راجعاً إلى حيث يعسكر المسلمون ، وتراءى على زوج أمه يبكي وقال له : « أجاز رسول الله رافع بن خديج وردني وأنا أصرعه ! ! ... » ثم جلس غير بعيد يتطلع بعينيه الدامعتين إلى هذه الصفوف المؤمنة التي امتلأت قوة وعزماً ، وود لو يسمح له رسول الله بالقتال مع هذا الجيش بينما انصرف زوج أمه إلى الرسول ينقل إليه ما قاله سمرة .. فأعجب رسول الله بهذا الرأي وأكبر هذا الإيمان ، وأمر بأن يتصارعا أمامه ... وتشابكت الأيدي ... وما هو إلا قليل حتى صرع سمرة رافعاً ، فابتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياه وسمح له بالقتال ...

(١) كتب إليه بذلك من مكة سراً عمه العباس بن عبد المطلب .

— ٦ —

ابتدأت المعركة ، وخرج من صفوف المشركين فارس صعب المراس قوى الشكيمة يدعو للبراز ، فوثب عليه الزبير وقتله ، وكان كلما خرج من صفوف المشركين مبارز قتله فارس من فرسان المسلمين . حتى اختلط الجيشان ، وحميت المعركة ، وثار النقع ، فلم يعد يسمع إلا صهيل الخيل ، وصليل السيوف ، وقعقعة الرماح ، وصفير السهام . ووقع فيها من الفريقين صرعى كثيرون . وانجلت المعركة بعد أن رد الله كيد الباغين الذين أرادوا بالرسول شراً . وإذا (برافع ابن خديج(١)) الفتى الصغير مخضب بالدماء قد أصابه سهم من سهام المشركين ، هد قواه ، وأنزف دمه . ورآه المسلمون وقد وضع ذراعه تحت رأسه والدماء منه ، وقد استسلم لغيبوبة عميقة . فأيقظوه وضمدوا جرحه ففتح عينيه وسأل عن المسلمين ، واطمأن على رسول الله ... ثم أغمض عينيه وسلم روحه الطاهرة الزكية ، وقدمها قرباناً إلى الله ، وبرهاناً على الجهاد في سبيله ، وطارت روحه إلى السماء ... إلى الفردوس الأعلى ... حيث روح صاحبه (عمير) لتنعما هناك بالخلود الدائم ... ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه استشهد حزن عليه حزناً شديداً ، ودمعت عيناه ، وقد ذكر بطولته وإيمانه وقال : بعد أن دعا له بالرحمة ، وسأل الله له الجنة (أنا أشهد له يوم القيامة ...

(القاهرة) عمر عودة الخطيب

(١) هذا هو الشهيد الصغير الثاني .

أشواق ودموع (*) ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

كتبت من باريس تقول :

« أيها الطائر العزيز ... لم أجد بغداد إلا لأنك تغنيها في غبش الفجر الساحر وعند الأصيل الفاتن ، أغنيات الهوى والشباب ، وأنا في زحمة الأصداء والأضواء والمباهج لا أحس لهذه كلها صدى في نفسي ولا أثراً في وجداني بل أجهد عيني على أن لا ترى وأذني على أن لا تسمع ... لأستطيع أن أتخيلك وأنت كما كنت تقرأ لي خلجات قلبك الكبير الحساس ، فرجائي يا طائري أن تسمعني غناءك ولو من بعيد ... » « من رسائلها إلي »

سألتني لم لا أشدو كما كنت أغني
ولماذا لا يباري الوتر المسحور فني
قلت يا عذارة أحلامي ويا أصداء لحني
أو ما كنت نشيد الحب في ليل التمني
أو ما كنت صلاة الطيب في الروض الأغن
أو ما ذاب حنيني فوق أوتار التمني

أو تنسين وكنت العطر في ثغر الربيع
ونشيداً لم يزل هيمان في تلك الربوع
وابتساماً شع في دنيا دماء ودموع
وسلاماً رف فوق الأرض كالروح الوديع
كيف تنسين حنيني ، كيف تنسين ولوعي
أين خلفت فؤاداً ضاق بالشمل الصديع ؟

لم أزل يا فجر الهائي ويا ربة شعري
روضة يفضح عطر الفن منها كل عطر
وهزاراً اطرب الليل فلم يجنح لفجر
وربيعاً نضراً بالحب محفوفاً بسحر
أين أنت الآن من عطري وألحاني وزهري ؟
أين أنت الآن من صدري ليطويك كصدري ؟

يا « هنائي » كنت في صحراء أهوائي زهرا
يا « هنائي » كنت في ظلمة أيامي بدرا
أنت نضرت شبابي فنفحت الكون عطرا
ولكم أشرقت في ليل صباباتي فجرا
وسكبت الوحي في روحي فصغت الشعر سحرا
وإذا دنياي أحلام وأنغام وبشرى

وإذا بي بعد ما جرعني الحرمان صابا
وأحال اليأس دنياي ظلاماً وضبابا
والقنوط المر أفني — من أماني — العذابا
وغدت جنة أحلامي من البلوى يبابا
لحت في حالك أيامي — من الغيب — شهابا
وتفجرت كينبوع وما كنت سرابا

أنا من بعدك لو تدرين قيثار جريح
آهة فوق سماء (السين) بالنجوى تبوح
وهزار سرمدي الحزن بالشوق ينوح
وخيال خاف أطيافك يغدو ويروح
يا عذابي الحلو شعري بين كفيك يفوح
فاسأليه فهو أشواق ودمع وجروح

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصري

(*) من ديوان « ليالي الفراق » .

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

رأى فى ترجمة « آلام فرتر » :

سيدى :

لقد فرغت من قراءة ترجمتكم العربية الرائعة لقصة آلام فرتر ، ومن القيام بمقارنة دقيقة بينها وبين الأصل المقابل فى الألمانية . بعد هذا أرجو أن تأذن لى بأن أقدم إليك أصدق التهنئة على هذا العمل الباهر . وإنه ليعد فى رأيى خير ما عرفته اللغة العربية فى بابه .

أنا واثق من أن الجمهور القارىء فى مصر ، سيجد فى ترجمتكم ما ينشد من متعة بعيدة المدى وكسب لا يحد . إن الدقة فى هذا الأسلوب التصويرى الوثاب ، أسلوب جيتة ، لتجد أداءها الصادق فى لغتكم ، هذه اللغة التى تصبح تحت سنان قلمكم مرنة طيعة لمشاعر المؤلف ومعانيه .

ولقد قمت بمقارنة أخرى دقيقة بين المصدر الذى نقلتم عنه وبين النسخة الأصلية التى ظهرت عام ١٧٨٧ ، وأستطيع أن أقرر بأن الترجمة الفرنسية التى نقلتم عنها ، قد بلغت من الأمانة حداً يتعذر معه أى اختلاف إذا ما ترجمت القصة عن الألمانية .

إن كتابكم ليفوح منه أرج الإلهام الذى يعبق فى قصة الشاعر الألمانى ، وإننى لأرجو أن تتاح لى الفرصة للاطلاع على كثير من أعمالكم الأدبية .

مرة أخرى أعبر عن شكرى لما لقيت من متعة خالصة فى ترجمتكم لآلام فرتر ، آملا أن أنال .

صديقكم المخلص

بروفسور دكتور جوليانس جرمانوس

هذه هى الرسالة التى بعث بها المستشرق الألمانى إلى الأستاذ الزيات ، والتى شاء تواضعه أن يحتفظ بها أكثر من عشر سنين دون أن يلحقها بأية طبعة من طبعات كتابه أو يشير إليها من قريب أو من بعيد . . ولولا أننى طلبت إليه أن أقوم بنقلها إلى العربية لبقيت إلى الأبد لا تقع عليها عين ولا تسمع بها أذن !

اقرأوا هذه الكلمات التى تضع الحق فى مكانه ، ثم وازنوا بينها وبين كلمات أخرى يجترىء صاحبها على الحق حين يعلن أن الزيات قد ألف آلام فرتر . . . إن الفارق بين الرأيين هو الفارق بين دكتور جرمانوس وسلامة موسى !

من الأعماق ولوعة الذكرى :

أيها الأديب الصديق ، لماذا بعثت بكلماتك من طوايا حلم دفنته ، أشلاء ماض جريح ؟ . .

وأنت يا من جرعتنى الظمأ من كؤوس حرمانك ، ترى هل رفت « من الأعماق » رفيف الزهر فى رحابك ، وتضوع منها عطر الأسى فى ثراك ؟ إن الماضى الذى تمهد يوماً فى سحيق عظامى ، يعود لتناديك أطيافه وتناجيك رؤاه !

أتذكر يوم غمست القلم فى دماء القلب وكتبت قصة هواك ؟ هواك الذى شيعته بالدمع إلى ظلام القبر ، وذقت من بعده غربة الروح فى مأتم الأحلام ؟ ترى هل ذقت يا شقيق الروح غربة الروح ؟ . هناك حيث ترق الكلمات فتستحيل إلى أنات ، تهتك ستار الصبر والجلد ، وتترك مكانها من حنايا الضلوع وشغاف القلب ، وتخرج إلى الناس تروى لهم ما فعلت الأيام ؟ هناك حيث تعبر النجوى عالم الأسى والأنين ، مرتاعة ملتاعة ، تنشد الرى فلا تجد إلا الظمأ ، وترتقب النشوة فلا تحس إلا الألم ، ولا تعود من عالمها هذا إلا بأشتات التى تحتضر ؟ !

إن فكرى ليقطع المدى وثباً ليفرش طريقك بورود حبى . ترى هل يعبق فى أفقك أرج فكرى ؟ إن روحى لترفرف فوق مكانك بجناح طوته على الجراح عوادى الزمن . . ترى هل تسمع رفرفة روحى ؟ تعال نهتف فى موكب الأيام هتاف الحبب فى كأس فاضت بخمر نواك . تعال نردد فى محراب الشجن صلاة تنشج الحسرة فيها ويعول الأنين . تعال ... تعال من هناك ، من وراء الأبد ، من وراء الصمت ، من وراء الوحشة المطبقة ، من وراء السكون العميق . تعال فقد تقطعت من بعدك أوتار النغم فما استمع الحيارى لنشيد . . تعال فقد جف من بعدك كأس الصفاء فما سعد الندامى بحبيب ! . . تعال واحمل إلى السماء نفحة من

عبقرية الألم فى الأرض ، وقل لها إننا نعيش من بعدك كما يعيش الشوق الراهب فى دير الذكريات !

اقرأ معى هذه الكلمات :

« عندما يستحيل الحلم إلى جنون ، ينتصب تمثال أسود داخل الروح ، وتبرز فجأة شطئان بلورية تطوف بها جماجم الأحياء ، وتمتد تحتها فى انحدار عنيف بحار متسمة من الجال ، وتستيقظ العطور والضحكات ؛ وتنفتح الكهوف الخرافية بعد ما تكون الكنوز قد ضاعت فتزدحم الغابات بنهود من نحاس ، وتتصلب الشفاه وهى تبتسم ، وتسمع أصوات القبل آتية خلال النعاس ، ويقف ظل أمام ظل ، وتغادر الفلول الميدان ، ويسمع فى السراديب السحرية قرع الطبول ، وتبدأ المعركة بين الأشلاء ، من أجل الحصول على ذراع أو ساق !

ويحترق الهمس فى الصدر ، وتتداح دوائر فى المياه ، من مكان غير معروف ، قاصدة فى سفرها المرتعش المتوه التقاء اللانهاية بالعدم » .

هل تستطيع أن تفهم هذه الكلمات ؟ إنها لأديب مصرى اسمه يوسف الشارونى ، دأب على أن يتحف بمثلها فى كل شهر زميلتنا مجلة « الأديب » اللبنانية . . ويوسف الشارونى هذا واحد من فئة أعرف بعض أفرادها من لقائى لهم بين السطور والكلمات ، هذا اللقاء الذى لا يخرج منه أى إنسان عاقل إلا بما خرجت به زوجة الشاعر الإنجليزى روبرت براوننج ، حين قدم إليها الشاعر قصيدة نظمها فى وصف البحيرة فقالت له : إننى لا أدرى إذا كنت تتحدث فى قصيدتك عن بحيرة حقاً أم تتحدث عن كلبنا الصغير !

وأنا والله لا أدرى عن أى شىء يتحدث الأستاذ الشارونى . ولا أدرى كيف اتسعت صفحات الزميلة اللبنانية لهذه البضاعة التى تصدر إليها من مصر ، بعد أن أقفلت فى وجهها جميع أسواق الأدب فى عاصمة المعز ! أباسم الأدب والفن يكتب هذا الكلام ؟ إن الأدب والفن ما خلقا إلا لتثقيف الناس وهديهم إلى معانى الحق والخير والجمال ، فأين من يدلنى على لمحة واحدة من لمحات الأدب والفن فى كلمات السيد يوسف الشارونى ؟ . . قد يقول قائل إنها « سمبولزم » ، وقد يقول آخر إنها « سير رياليزم » ، أما أنا فأحيى الأستاذ عباس محمود العقاد وأقول معه : إنها « تهجيص » !

لحظات مع الأستاذ العقاد :

حييته هناك ولا بأس من أن أختلف معه هنا . ومهما اختلفت مع العقاد الناقد فى نظرته وموازينه فستبقى حقيقة أعترف بها بينى وبين نفسى وبينى وبين الناس ؛ وهى أننى أحترم ثقافة هذا الرجل . إنه يقرأ كثيراً ؛ يقرأ فى كل شىء ، يقرأ قراءة فهم وهضم واستيعاب ، فى بلد قل فيه عدد المثقفين وغمرت أسواقه أمية المتعلمين !

- إن ذوق العقاد لا يرضينى فى بعض الأحيان ، وكذلك موازينه ؛ ولكن ثقافته ورحابة أفقه وسعة اطلاعه تدفعنى إلى تقديره والإعجاب به . هذه كلمات يمليها علىّ الضمير الأدبى ، وإذا كنت قد هاجمت كثيراً من آرائه فإننى لا أبيح لقلمى أن يهاجم ثقافته !

لو أنك مقدم على رحلة عاجلة ، فأى سبعة كتب تصطحب ؟ هذا هو السؤال الذى وجهته إلى الأستاذ العقاد مجلة « الاثنين » فى عددها الأخير فأجاب عنه بأنه يصطحب معه هذه الكتب السبعة : ديوان ابن الرومى ، اللزوميات لأبى العلاء ، تهافت الفلاسفة للغزالى ، تراجم بلوتارك ، مجموعة شكسبير ، تاريخ الفلسفة لبرتراند رسل ، خوالج الحيوان لداروين . وقد تحدث الأستاذ العقاد عن هذه الكتب حديث ناقد يزن قيمها الفنية مشفوعة بأسباب التفضيل والإيثار .

أما ابن الرومى فأنا أعلم أن الأستاذ العقاد يتفانى فى حبه وتقديره والتعصب له ، ولكن حين يبلغ التعصب حد القول بأن ابن الرومى فى مجال الشعر الوجدانى لا يضارعه شاعر فى العالم كله فهذا هو الانحراف الذى أضيق به ترى أيبلغ ابن الرومى فى وصف الخوالج النفسية ما بلغه جيته وهاينى فى الأدب الألمانى ، وبودلير وفرلين فى الأدب الفرنسى ؟ لا أظن ! لقد كنت أود أن يقتصر الأستاذ العقاد على القول بأن ابن الرومى فى مجال الوصف التصويرى لا يفوقه شاعر فى العالم كله ، فهذا ما لا أختلف معه فيه .

ومرة أخرى تتخلى الدقة عن ميزان الأستاذ العقاد حين يقرر أن « بلوتارك » هو سيد كتاب السير والتراجم في جميع العصور ... أؤكد للأستاذ العقاد أنه لو قرأ كتاب الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر عن « بودلير » لعدل عن رأيه في بلوتارك ؛ إن هذا الكتاب كما سبق أن قلت في « الرسالة » ليعد في رأى الفن خير كتاب أخرج في موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى !

بعد هذا لا أدرى كيف يطيق الأستاذ العقاد أن يصطحب معه اللزوميات في رحلة ينشد فيها المرء متعة الذوق والفكر والخيال !... معذرة يا سيدى إذا فات لك إن هذا الاختيار لا يرضيني ! إن رحلة تخطر فيها اللزوميات لرحلة تصيب الراس بالصداع وحركة الذهن بالجمود ... لقد كنت أود أن تصطحب بخلاء الجاحظ بدلا من لزوميات أبى العلاء !

أدب القصة وأدب المعقب :

تحت هذا العنوان قرأت في عدد الرسالة الماضي كلمة خصني بها الأستاذ نصرى عطا الله ... صدقني إنني لم أكن أنتظر أن أن يفقد الأستاذ أعصابه في بداية كلمته ثم يعود في نهايتها ليفقد ذاكرته ! وصدقني إنني شعرت نحوه بشيء من العطف الممزوج بالدعاء .. الدعاء له بأن يحفظ الله أعصابه من الأوجاع وذاكرته من الضياع !

لقد رماني الأستاذ عطا الله بجموح النفس وتمكن شهوة التهكم والتجريح من نفسي ... يبدو أنه قد نسي أن في الحياة الأدبية في مصر أناسا يستحقون التهكم ويستأهلون التجريح ويرغمون الناس على الجموح !!

ينكر الأستاذ أنه كان يعنيني بمقاله ... لمن إذن كان يوجه نصائحه بأنه لا يصح أن يحكم القارئ الشرقي على شخصية موباسان لأن ما نقل من أدبه إلى العربية أقل من القليل ؟ لي بالطبع ؛ لأنني أنا الذي كنت أتحدث عن موباسان ! ولمن إذن كان يبعث بتوجيهاته حين يقول (... وليس هناك « حيز محدود » أو « اقتضاب ملموس » أو « حد من حرية الكاتب ») ؟ لي بالطبع لأنني أنا الذي كنت أنادى بـ « الحيز المحدود » في القصة القصيرة ومن العجيب أنه يؤكد لقارئيه بأنه لم يقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ... ترى من الذى كتب في هذه المقارنة اثنى عشر سطراً تبدأ بهذه الكلمات : « تختلف القصة القصيرة عن القصة الطويلة لا في الكم وحده بل في الكيف أيضاً » ؟

بعد هذا خرج الأستاذ عن موضوع المناقشة ليذكر أنني أضع نفسي دائماً في بؤرة الضوء ، وأقول للناس إن الكتاب يرسلون إلى كتبهم راجين أن أنقدها مفترضاً أنني الناقد التالى الأول ، حين أعلن في زهو وصرامة أنني وجدت أكثرها لا يستحق العناء !

أقسم للأستاذ عطا الله أنني ما أهملت هذه الكتب إلا لتفاهتها ... وكذلك الأمر فيما يتعلق بإهمالي لكلمته الخارجة عن موضوع المناقشة !!

أروع ما قرأت عن كذبة أبريل :

لا يصل هذا العدد إلى أيدى القراء إلا ويكون « أول إبريل » قد أوشك أن يحل ضيفاً على هواة الكذب الطريف ... الكذب الذى يلجأ إليه الناس رغبة في اللهو البرىء ، وشغفاً بالدعابة التي تجني في الغالب على الذين لا يعدون المدة لهذا اليوم الخالد في حساب الظرفاء والكذابين !

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال أن إحدى الصحف الفرنسية قد كتبت في اليوم الحادى والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٤٨ ما يلي : « تقيم الحكومة الفرنسية في صباح الغد معرضاً ممتازاً للحمير بميدان الكونكورد ، ومن المنتظر أن يهرع الكثيرون من سكان العاصمة لمشاهدة هذا المعرض الذى تقيمه الحكومة لأول مرة ، وتحشد فيه نماذج مختلفة من الحمير التي لم يرها الفرنسيون من قبل » . ولم يقبل صباح أول إبريل إلا وكان ميدان الكونكورد يموج بالألوف ممن صدقوا خبر الصحيفة ولم يقبل المساء حتى صدرت الصحيفة حاملة إلى قرائها هذا التعليق الرائع : (كان للخبر الذى نشرناه أمس عن معرض الحمير أثره البعيد في نفوس القراء ، حتى لقد أقبل الألوف منهم على مشاهدة المعرض ... ويقول مندوبنا إنه شاهد في ميدان الكونكورد ما لا يقل عن عشرين ألف حمار) !! .

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

موكب الأبطال :

يقول « مدرس أدب في الأزهر الشريف » في مطالع كتاب منه : « ما تزال دولة الشعر بخير ، فقد هزتني قصيدة الشاعر علي محمود طه في أبطال الفالوجة التي نشرتها الأهرام في عدد يوم الخميس ١٠ من مارس ، ولا ريب عندي في أنك قد قرأتها ، وأنها قد هزتك كما هزتني ، وأن مثلها جدير بأن يحظى بإحدى تعقيباتك في الرسالة ، سجل الأدب العالي وديوان الفن الرفيع . وإنما حملني على أن أوجه إليك هذه الكلمة ، حرصي على أن أسجل إعجابي بهذه القصيدة ، وقد مضى لي أن غمزت « أنشودة فلسطين » لصاحبها أيضاً في الرسالة الغراء ، حتى لا أكون مثل كاتب الشمال ، لا يحصي غير السيئات » .

ويقارن الأستاذ « مدرس أدب في الأزهر الشريف » بعد ذلك بين هذه القصيدة وبين قصيدة أخرى لشاعر آخر في نفس الغرض ، وفي نفس الجريدة وقد اصطنع أسلوباً لبقاً في استدراجي إلى هذه المقارنة ، وكأني به يؤلبني على الشاعر الثاني ، إذ يقول في نهاية المقارنة : « أرأيت — يا عباس — كيف يطغى بعض الشعر ، فيبدو شيطاناً مريداً ، وكيف يتواضع بعض الشعر ، فيبدو ملكاً كريماً ؟ !! إني أترك لك الباقي » وهو يقصد بالذي يبدو شيطاناً مريداً ، شعر أبي طه ... كما يعبر في رسالته ، وما إخال الشاعر الآخر يسر بأن شعره ملك كريم في هذا المقام ! ويظهر أن الشيطان أليق بالشعر من الملك !!

أما الباقي الذي يقول إنه يتركه لي ، فهو على غير ما كان يتوقع ، فلست أرى داعياً لهذه المقارنة ، فلكل شاعر طاقته ومذهبه وأفقه .

أما قصيدة « أبي طه » فقد رآها القراء في الأسبوع الماضي كاملة بالرسالة بعد أن أضاف إليها الشاعر ما استلهمه من مشاهدة أبطال الفالوجة يهرع الشعب إلى الاحتفاء بهم وينثر الغيد طاقات الزهر فوق رؤوسهم ، ولا بد أنها هزتهم كما هزتني وكما هزت الأستاذ الأزهري ، وحقاً ما قال في رسالته : « وإذا صح أن في الشعر مواضع للسجود ، فإن من هذه المواطن في الصميم :

جن الحديد بأرضها وسمائها ... فجرى وطار ، تصيبه ويصيبها
شدت يد الفولاذ حول نطاقها ... حلقاً تصيح النار : كيف أذيبها ؟

وقد تآخت في هذه القصيدة قوة التركيب وقوة الروح ، فطابقت بذلك موضوعها الحماسي . ومما يستدعي الالتفات أن بنيانها القوي لم تتخذ لبناته من القوالب المرددة التي يلجأ إليها شعراء الجزالة . وأقول صادقاً ، أو أعتقد أنني صادق إذ أقول : إن قصيدة « موكب الأبطال » من القليل في أدبنا المعاصر الذي يجمع بين الديباجة العربية المتينة التي يظهر أثر الشاعر في نسجها وبين نهج المدرسة الحديثة في الشعر من حيث صدق التعبير والصدور عن الشعور الذاتي دون تقليد أو تزييف . ولعلها أول قصيدة للشاعر نفسه على هذا النحو ، فقد كان يؤثر قرب المنال من عامة القراء ، ولكن الموضوع في هذه المرة حكم عليه أن يخلد البطولة المصرية في الفالوجة بشعر يذهب مذهبها في القوة ومجاوزة المستوى العادي . ولست أريد بذلك أن أفضل القصيدة على غيرها من شعر الأستاذ علي محمود طه ، إنما أنعتها بصفاتها ، فلا شك أن السهولة والرقة لهما مكانهما في غزلياته وغرامياته .

وبعد فقد قام شاعرنا الكبير بحق البطولة على الشعر ، وجاءت قصيدته عملاً ممتازاً ، ينبغي أن ينظر فيه الشعراء الذين يؤثرون العزلة والهرب من المجتمع والانطواء على عواطفهم الشخصية وخيالاتهم البعيدة عن مضطرب الحياة . ونحن أمة لم تستكمل ضروراتها من الحرية والحياة الراقية المستقرة ، فإذا كان لشعراء أمم أخرى أن يعكفوا على ألوان مترفة من الشعور والتفكير فإن ذلك لا يروج في بلادنا ولا يناسبها في هذه المرحلة من حياتها ، وأقل ما يرجى من الشاعر أن يشارك مواطنيه مشاعرهم ويصدق في التعبير عنها . وما أكثر من يسترون العجز بدعوى « التحليق » الذي لا يأتون منه بشيء ...

فليا يا فليا :

« اطلعت فى العدد ٩٨ من الرسالة الغراء على كلمتكم الحكيمة عن شعر (البلا لابكا) التى قلتم فى نهايتها (أليس لقائل آخر ما دام الباب مفتوحاً أن ينشر قطعة قد تكون أروع من هذه بعنوان (شرم برم) ؟ ولقد قرأت فى عدد مارس من مجلة الشرق الأدنى للاذاعة اللاسلكية قطعتين من الشعر للأستاذ عبد الرحمن الخميسى ، إما أن أضمهما فوق مستوى تفكيرى ، وإما أن أضمهما تحت عنوان (شرم برم) والقطعتان مرسلتان إليكم ، بعد أن انتزعتهما من المجلة ، دفعاً لظنة التزوير ، لتروا رأيكم فيهما » .

تلقيت هذه الرسالة من الأستاذ محمد محمود عماد المحامى ، ومعها القطعتان المذكورتان ، الأولى عنوانها (فليا يا فليا) أولها بيتان موزونان يستطيع الإنسان أن يفهم منهما أن (فليا) لها محب يخفق قلبه بحبها ، وأن للحبيبين أسطورة « تعيش مع الناى » وبقية القطعة :

حكم هوى العذراء
لو عرب سنا الجوزاء
طوقت همسة بالزهور
فليا يا فليا يا حلمى الكبير
رحماك بالقلب فهو كبير
فيليا يا فليا اسمى لى الغناء
يزجى الهوى ما يشاء

استطعت أن أقرأ وأن أفهم الأربعة السطور الأخيرة وآخرها موزون ، أما الثلاثة التى قبله فهى كبير كالقلب ، غير أن القلب كبير من حب (فليا) ، والكلام الذى قبل ذلك لم أعرف أى شئ هو !

والقطعة الثانية عنوانها « حلم الزواج الساحر » أجزاؤها مشردة تائهة بين ثلاثة بحور ، وبعضها كالقلب الذى حطمته (فليا) ، فمنها :

لو أننى فى الواج
أغلقت قلبى بالرتاج

الشطر الثانى من « مجزوء الكامل » أما الأول فلم أدرك معناه ولا وزنه ، لأنى لم أعرف معنى كلمة (الواج) ولا ضبطها .

ومن القطعة أيضاً :

أواه لو تكن مى
حبيبتى ضياء عينى

الشطر الأول من « مجزوء الرجز » والثانى من لا شىء .. وقد استطاع « لو » بقدرة خارقة أن تجزم « تكن »

يا أستاذ عبد الرحمن الخميسى ، لا أريد أن أكون شديداً فى مناقشتك ، فأنا أعدك من زميلى الأستاذ أنور المداوى وأذكر أننا التقينا مرة ، فعتبت على لأنك أنى عرضت بك فى بعض ما كتبت ، وقلت إنك تحب أن أواجهك بالنقد لتستطيع

كشكول الأسبوع

□ فهم بعضهم غير ما قصدنا من المقابلة بين رئيس المجمع العلمى العراقى ورئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، من حيث الجمع بين هذا المنصب وعضوية البرلمان . والذى نقصده أن مثل هذا المنصب العلمى لا ينبغى أن يحسب فيما يمنع الجمع بينه وبين غيره ، ولا سيما أن مكافأته المادية لا تذكر .

□ لما زار معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف قاعة الشرف التى صفت فيها تماثيل عظماء مصر فى المعرض ، رأى أن تقوم الوزارة بصنع تماثيل من البرونز لهؤلاء العظماء تقام فى الميادين والحدائق العامة ، وقد شرعت الجهات المختصة بالوزارة فى إجراءات تنفيذ هذا المشروع .

□ يشتغل الدكتور طه حسين بك الآن بتأليف كتاب عنوانه « دراسات » وموضوعه الكلام على المذاهب الأدبية المعاصرة .

□ كانت وزارة الشئون الاجتماعية قد كلفت بعض الفنيين إعداد أفلام تعالج المشكلات الاجتماعية ، وقد أنجزت ثلاثة أفلام هى « العامل » و « الطفولة المشردة » و « الفلاح » وقد عرضت يوم الأربعاء الماضى بسينما ريفولى ، وهى الآن تعرض بالمجان فى المعرض الزراعى الصناعى .

□ تتلقى وزارة المعارف طلبات من الدول الغربية لعقد اتفاقات ثقافية . والوزارة توافق على بعضها وتبدى ملاحظات على البعض الآخر وتتضمن هذه الاتفاقات تبادل الأساتذة والطلبة ، ومن هذا التبادل — بطبيعة الاتفاق أن توفد بلجيكا مثلا طلبة يتعلمون فى جامعات مصر ، باللغة العربية طبعاً ... لعل وعسى ...

□ تنظر وزارة الشئون الاجتماعية فى مشروع إنشاء قاعة للمحاضرات والاحتفالات القومية ، فى القاهرة ، على أن تعمم الفكرة فى عواصم الأقاليم .

□ امتنعت الآنسة أم كلثوم عن الغناء حتى تتحسن صحتها ، عملا بمشورة الأطباء . نسأل الله أن يشمل المطربة المحبوبة بعنايته ويمنحها الصحة والعافية .

□ جرى فى الأسبوع الماضى انتخاب ملكة الجمال من بين طالبات الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، بإشراف الدكتور هوارد عميد الجامعة . وكنا نظن أن ذلك يحدث فى ملهى (الأوبرج) فقط !

□ مما رأيت فى قصة بالعدد الأخير من « الأديب » بقلم أمين يوسف غراب — ما يلى : « لكلاهما فيه حق ولكلاهما فيه نصيب » وفى القصة أخطاء غير ذلك . وقد سمعت مرة أحد « أعلام » القصة الذين ركبوا ظهور الصحف والمجلات فى غفلة الزمان ، يقول : إن كبار الكتاب والعباقرة — أمثاله طبعاً — لا يعبؤون باللغة والقواعد ... فهل يرى السيد غراب هذا الرأى ؟

□ قررت لجنة التحكيم فى مسابقة فاروق الأول للصحافة الشرقية ، توزيع الجوائز على الصحفيين الشبان الفائزين وقد فاز الأستاذ وديع فلسطين بالجائزة الأولى فى المقالات ، وقدرها خمسون جنيها ، وذلك لعدة مقالات كتبها فى السياسة الخارجية المصرية .

الرد . وها أنت ذا ترانى قد فعلت . فهل تتفضل وتشرح لنا ما لم ندركه أنا والأســتاذ عماد ، وتبين لنا الحكمة فى استعمال « هيئة البحور المتحدة » فى القطعة الواحدة ، ولم وقف غير الموزون ينظر إلى الموزون محطها كسير القلب ؟ ولا تنس « لو » التى منحتها حق الجزم ، وقد كان يمكن أن تعفيها من ذلك ، فيكون الشطر الأول كالثانى ، ولا ضرورة !

والأستاذ محمد محمود عماد ينتظر الرأى ، هل القطعتان فوق مستوى تفكيره — وتفكيرى أيضاً — أو هما من نوع (شرم برم)؟ وهو على حق فى ذلك ، فلا ثالث للأمرين . وأنا أوثر أن أضعهما فوق مستوى تفكيرنا ، حتى يتفضل الأستاذ الخميسى بالإفادة

تأبين الجارم :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأبين المرحوم على الجارم بك يوم الأحد الماضى لمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته . وقد اختير لذلك المكان الذى فاض روح الفقيد فيه ، وهو دار الجمعية الجغرافية ، حيث كان يستمع إلى قصيدته فى رثاء المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا .

وقد قصر التأبين على كلمة للأستاذ أحمد العوامرى بك ، وقصيدة للأستاذ عباس محمود العقاد . أما كلمة العوامرى بك فقد كانت جامعة ، عمد فيها الأستاذ إلى السرد التاريخى لحياة الفقيد منذ كان طالباً فى دار العلوم ، وما تخللها من جهوده فى التعليم واللغة والأدب ، وفصل ذلك تفصيلا وافياً فى نظر التاريخ وقد بدا هذا التفصيل كأنه ممل ، نظراً إلى أن الحاضرين من المثقفين والأدباء الذين لا تخفى عليهم هذه المعلومات .

وقد ألقى الأستاذ شوقى أمين قصيدة الأستاذ العقاد الذى لم يتمكن من الحضور لمرضه — عافاه الله — وقد كان إلقاء الأستاذ شوقى هادئاً معبرا ، فأدى الشعر أحسن أداء .

وأول قصيدة الأستاذ العقاد .

فجعت مصر يوم نعى على … بالأديب الفهامة الألمعى

شاعر لازم القريض إلى أن … كان يوم الفراق حرف روى

وقضى واجبين يوم قضى نحبا … وأعظم بالواجب المقضى

واجب الشعر، والوفاء مدى العمـ … ـر فطوبى للشاعر الوفى

إن جهد الرثاء لوعة راث … فى مضامين شعره مرثى

القرابين الغنائية لطاغور :

كتب الأستاذ عبد اللطيف شرارة بالعدد الأخير من مجلة « الأديب » اللبنانية ، بعنوان « قربان الأغانى » نبه فيها على تقصير أدباء العرب فى دراسة طاغور وترجمة آثاره ، وذكر بعض ما ترجم منها إلى العربية ثم قال : « ولكن أحداً من أدباء العرب المعاصرين لم يفكر فى نقل ديوانه الأعظم (قربان الأغانى) الذى سما فيه طاغور إلى أعلى ذروة يستطيع أن يبلغها شاعر ، إن فى الحس المرهف ، وإن فى الحكمة الصافية ، وإن فى روعة التعبير عن أغرب الأجواء الروحية والصوفية . دام الأمر كذلك إلى أن جاء الأب يوحنا قمير — وهو من عنى بفلاسفة العرب » ومفكريهم فسد ذلك الفراغ ونقل (قربان الأغانى) إلى لسان العرب

وأذكر أن الأستاذ كامل محمود حبيب نقل ذلك الديوان إلى العربية من نحو اثنتى عشرة سنة ، ونشرته (الرسالة) تباعاً ابتداء من العدد (٢٣٠) الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٣٧ بعنوان : (جيتا نجالى) وقدمت له الرسالة بما يلى :

« جيتا نجالى كلمة هندية بنغالية معناها القرابين الغنائية وهى أناشيد صوفية تبلغ ١٠٣ نشيد نظمها طاغور فى البنغالية ثم نقلها بنفسه إلى الانجليزية ، وشهرتها فى الأدب العالى كشهرة رباعيات الخيام . وهى تمثل الروح الغالبة على فلسفة طاغور من جهة ، والطبيعة المميزة للبوذية من جهة أخرى . وسننشرها كلها مترجمة بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب » .

وقد أتاح لى ذلك فرصة سعيدة ، إذ رجعت إلى مجموعتى من الرسالة ، ونعمت وقتاً بقراءة هذه الأناشيد الروحية العالية ، وأقطف للقارىء أولها فيما يلى :

« أنت خلقتنى أبديا ، تلك مشيئتك . هذا الحطام الفانى — جسمى — أنت تفرغه مرة ومرة ثم تملؤه بالحياة الغضة . هذا الناى الصغير أنت علوت به وهبطت ؛ ثم وقعت عليه أنغاماً سحرية خالدة ، وحين لمست يداك قلبى الضعيف لمسة إلهية ، شاع فيه السرور وانبعث منه لحن أخاذ ، وبين يدىّ الضعيفتين استقبلت آلاءك العظيمة ، والأعوام تتصرم وأنت ما تزال تحبونى وفى قلبى شوق وطمع » .

وقد ترجم الأستاذ كامل لطاغور ، غير ذلك ، ديوان « البستانى » ونشر تباعا فى المقتطف سنة ١٩٤٠ ثم جمع فى كتاب ، وترجم له كذلك « قطف الثمار » ونشر أيضاً فى المقتطف سنة ١٩٤١ .

عباس خضر

البريد الأدبي

بين نيتشه وفجنر :

كتب الأستاذ أنور المداوى فى عدد « الرسالة » رقم ٨١٩ فى باب « التعقيبات » كلمة تحت عنوان « أدعياء الأدب فى الصحافة اليومية » رد بها على الأستاذ الحبيسى فيما كتبه بجريدة المصرى عن موسيقى فاجنر وأثرها فى الفيلسوف نيتشه خاصة والشعب الألمانى عامة . فحمل حملة شعواء على الحبيسى لا داعى لنقلها فقد طالعها القراء ... وإنى أقول للأستاذ المداوى كلمة هادئة ... ترفق يا صديقى فما هذه بلهجة ناصح مرشد ، وإنما هى لهجة مصارع جامح ... وحتى لو كان الحق فى يدك والباطل فى يد غيرك فلهجتك تشوه جمال حقك ... فما بالك إذا لم يكن معك كل الحق ، وليس مع غيرك كل الباطل ؟!

إن ما قاله الأستاذ الحبيسى عن تأثر نيتشه بموسيقى فاجنر حق لا شك فيه ، وقوله (إن موسيقى فاجنر فتقت أكمام العبقرية فى نيتشه) يدهشنى بصدقه ودقته ؛ هذا التعبير الذى جعله الأستاذ المداوى هدفاً لأمر سخرياته . وإليك الدليل يا أخى (الأستاذ) بقلم نيتشه نفسه من كتاب (رسائل الصداقة بين نيتشه وفاجنر) وهو سفر يقع فى حوالى مائتى صفحة من القطع الكبير منه طبعة بدار الكتب بالقاهرة (Intimate betters—The Nietzsche — Wagner Correspondence) وهو حافل بآيات الإعجاب والإشادة التى طالما أهداها الفيلسوف إلى صديقه الموسيقار المعظم . ونحن نكتفى منه بمقتطفات من إحدى هذه الرسائل — على سبيل التمثيل لا الحصر — (صفحة ٨٥) كتبها الفيلسوف يهدى معه نسخة من أول كتاب (تفتقت عنه عبقريته) إلى صديقه الموسيقار وقد سماه : « مولد التراجيديا من خلال روح الموسيقى » .

وهذا المؤلف بالذات تناوله البروفسور ليشتنبرجر فى أبدع فصوله من مؤلفه القيم عن نيتشه — إنجيل السوبرمان —

ويفتتح نيتشه خطابه بهذه العبارة الشائعة فى خطاباته لفاجنر :

أيها الأستاذ المعظم التبجيل :

لعل هذا العمل (يقصد كتابه الجديد) يكون ولو إلى حد ضئيل رداً لجميل عنايتك الفائقة التى أوليتنيها فى خلقه وإذا كنت أعتقد أننى به قد أصبت الحق فليس لذلك سوى معنى واحد هو أنك فى فنك على حق على مدى الزمن والخلود — فى كل صفحة من صفحاته تجد شاهداً ناطقاً بشكرى على كل ما أوليتنيه ؛ ولكن يعرونى الجزع الشكى الخفيف — إلى أى مدى استطعت أن أظهر نفسى أهلا لنفحاتك ؟ ! سأكون قادراً على إبداع أعمال أخرى أفضل فى مقتبل الأيام وأقصد بمقتبل الأيام ذلك الزمن الذى يكون فيه فن بايروت (يقصد فن فاجنر) قد طار صيته .

وفى نفس الوقت أشعر بالزهو إذ أحس بنفسى كجمرة تضطرم ؛ لأننى من الآن فصاعداً سيقترن اسمى باسمك إلى الأبد .

مدينة بال فى ٢ يناير ١٨٧٢ ف . نيتشه

ألا ترى يا أستاذ مداوى أن نيتشه يعترف صراحة بأثر فاجنر وفنه فى أول كتاب تفتقت عنه عبقريته ؟ فكل صفحة من صفحاته شاهد ناطق بذلك كما يقول الفيلسوف نفسه !! وإن نجاح نيتشه فى كتابه ليس إلا رهاناً على نجاح تأثير الموسيقار وفنه ؟ بل إن الفيلسوف ليؤججه الشعور بالزهو والفخر إذ شعر باقتران اسمه باسم الموسيقار المعظم إلى الأبد ! مسكين أيها الحبيسى الدعى ! يا من تتناول مشكلات الأدب والفن هذا التناول الذى يبعث على الضحك والعجب والإشفاق !

إن [المثقفين يا أستاذ فى كل مكان يعلمون حقاً أن موسيقى فاجنر قد لقيت من قلم نيتشه أعنف وأبشع ما لقيه موسيقى فنان من قلم فيلسوف] ولكن هؤلاء المثقفين أنفسهم يعلمون أيضاً أن هذه الموسيقى بالذات قد لقيت من قلم نيتشه أسمى آيات المديح . إنها حقيقة ذات وجهين يعرفها كل مثقف فى كل مكان ! فهل أظهرت يا أخى أحد الوجهين وأخفيت الآخر متعمداً لترخى لقلمك العنان فى سخرياته من الحبيسى الدعى الذى يصدم الخيال والواقع ويخالف منطق الحياة والأحياء هو وأمثاله (على حد قولك) حين يكتبون ؟! أم أنك كنت بالوجه الثانى لتلك الحقيقة على غير علم ؟! إننى أترك لك اختيار إحدى الحالين ... ولست أغبطك على هذا

الموقف ... الذي لا يبعد كثيراً عن ذلك الذي أراد أن يتمسك من الآية القرآنية بعبارة (لا تقربوا الصلاة ...) وترك الباقي لغاية في نفسه وإن كنت شخصياً أنزه ناقداً مثلك عن هذه الغايات !

أما سبب ذلك الانقلاب من النقيض إلى النقيض للفيلسوف على صديقه الموسيقار فيعزوه الناقدون أو بعضهم على الأقل إلى علاقة غرامية أحس بها الفيلسوف نحو زوج صديقه الفنان ... حين كان يتصل بالزوجين اتصال المعجب ويخالطهما مخالطة الصديق ... وللحب سلطان فوق كل سلطان يا صديق — ولما عرف الزوج السر وقعت الجفوة بين الصديقين ... وإنك لتعرف أيها الأخ أن نيتشه لا يعرف في المواطف أنصاف الحلول .. فإما الصداقة الجارفة وإما العداوة الصارخة ، وهو في فلسفته أيضاً كذلك ... فهو إما هدام مدمر كأعنف ما يكون الهدم والتدمير ، وإما بان كأضخم ما يكون بناء بنّاء ... ومن كتبه التي تشهد بذلك — زرادشت — ضد المسيح — شفق الأصنام — ...

ولقد سبق لنيتشه أن رفع شوبنهاور وفلسفته إلى عنان السماء ثم عاد وذمهما أشنع الذم .. ثم حملته المنيفة التي شنها على المسيح والديانة المسيحية . . إن ما قاله مالك في الخمر هو بعض ما قاله نيتشه في المسيح . والعجيب أنه كان يعد أولا ليكون من رجال الكنيسة .. !! ويقول نيتشه في كتابه — ما وراء الخير الشر — وربما يعلل بهذا القول تقلباته المنيفة — إن المفكر عندما يبلغ الثلاثين يكون قد مر بجميع الأدوار التي مرت بها الإنسانية في تطورها .

كنت أحب أن أنتهز هذه الفرصة لأستطرد في بحث عن نيتشة الفيلسوف العجيب الفذ ، ولكني أرجىء هذا إلى فرصة أخرى . وأشكر للأستاذ المداوى أن أتاح لي إنصاف الحق وأحب أن أقول له مخلصاً . . والله لولا حرمة الحق ما حركت قلمي في هذا الموضوع — وإذا كان الخميسي صديق فالحق عندي أعز من كل صديق .. وفي النهاية أهمس في أذنه : إنها جولة كسبها منك الخميسي لأنك لم تسد الثغرة حين سددت الضربة ... وعسى أن توفق في جولة أخرى . على أن كاتباً مثلك ينتظره مستقبل باهر عليه أن يبذل غاية الجهد ليحفظ قلمه بعيداً عن آفة الهوى ...

محمد فهمي

(الرسالة) تلقينا رداً آخر للأستاذ الخميسي ، كتفينا برد الأستاذ فهمي لاقتصاره في النقل ووفائه بالغرض .

كلام الجواهر والدرر :

في ص ١٣٥٠ من عدد (الرسالة) ٨٠٤ يقول كاتب المقال : « ترجمة الأوزاعي لابن حجر العسقلاني » .

عنَّ لي أن أحقق هذا فرجعت إلى كتاب (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي) الذي نشرته مكتبة القدسي بالقاهرة فوجدته في ص ١٢٠ يسرد ما ألف من التواريخ في أفراد مخصوصين ، ثم يحيل على كتابه (الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) فرجعت إلى النسخة المصورة في دار الكتب المصرية فعثرت في خاتمته على جريدة حافلة في ذلك ، يقول فيها : وسيرة أبي عمرو الأوزاعي جمعها الشهاب أحمد بن محمد بن زيد الدمشقي الحنبلي أحد من أخذت عنه ، في جزء سماه « محاسن المساعي في مناقب أبي عمرو الأوزاعي » .

وقد ترجم السخاوي لابن زيد هذا في تاريخه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) المطبوع بمصر ، وذلك في الجزء الثاني منه وذكر في ثبت مؤلفاته كتابه هذا « محاسن المساعي » .

ثم رجعت إلى الباب الخامس من « الجواهر والدرر » المعقود لمؤلفات ابن حجر العسقلاني ، وهو في ١٨ صفحة كبيرة ، فلم أجد فيه ذكراً لكتاب في هذا الموضوع للحافظ . ولو كان له مصنف في ذلك لما خفي على تلميذه الأثير شمس الدين السخاوي وترجم له ابن العماد في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) في أربع صفحات ، وسرد من أسماء مؤلفاته ٧١ كتاباً ، ليس منها هذا الكتاب .

وقصدت أيضاً إلى (الضوء اللامع) فوجدت للحافظ ترجمة فيه ، ليس فيها شيء من ذلك أيضاً .

وعلى هذا فالنسخة الموجودة في دار الكتب من « محاسن المساعي » المنسوبة إلى الحافظ ابن حجر هي للشهاب بن زيد قطعاً .

محمد أسامة عليبة

الكتب

كتابان وكاتبان

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

في الربع الأول من القرن الحالى ، كان يقول الأدباء فى مجالسهم فى أديب كان معروف المكانة الأدبية آنذاك : إنه يؤلف عندما يترجم ، ويترجم حينما يؤلف .

تلك المقالة التى كانت تقال همساً فى مجالس الأدباء كانت تنطبق على أكثر كتاب وأدباء ذلك الجيل ممن كانوا يردون الأدب من موارد الغرب ، ولم يكن يستثنى منهم إلا نفر حرصوا على كرامتهم الأدبية وعلى كرامة الأدب نفسه من الانتقال ، فبقيت آثارهم تدل على أمانتهم فى الترجمة وفضلهم فى النقل .

ما كاد يهل الربع الثانى من القرن العشرين ؛ عصر الآداب والفنون والعلوم ، حتى ظهرت بيننا ظاهرة جديدة فى الترجمة والنقل استحدثها كاتب شيطان لبق مرن ، واسع الاطلاع على الأدبين العربى واللاتينى ، فتوفر دائماً للحركة والعمل ، ودأب على الإنتاج وعلى إثارة الضجيج حوله ، وما لبثت تلك الظاهرة بدعة الشيطان الدريش ، أن انتشرت بين الكتاب لسهولتها وعم اقتباسها واستعمالها عند الكثيرين من الكسالى الذين تستهويهم الشهرة ويجتذبهم حب الكسب . وهكذا صار تلخيص الكتب والروايات الغربية ونشر هياكلها بعد مسخ روحها ونسخها هو القاعدة فى الترجمة والنقل ، ولكن أبى الأمناء من المترجمين ، وهم قلة ، والحرصاء على النقل الصحيح فى آداب الغرب إلا السير فى طريقهم القديمة ، والنهل من الينابيع النقية الصافية ، غير آبهين بالترهات والخزعبلات الشيطانية ، وقد أنكروا ذواتهم واستهانوا بمنفعتهم حباً للأدب ، ووفاء لأممهم الناهضة . وهكذا أمعوا للجيل الجديد موائد فوقها ما فوقها من الشهى المستحب من أدب الغرب النافع .

* * *

الترجمة فى الأصل فناء شخصية معجبة فى شخصية مبدعة . وهى كـكل الفنون لا محيد لمتشقها من موهبة طبيعية . فكما أن المستحيل على غير الموهوب أن يكون موسيقياً أو شاعراً أو رساماً ، كذلك يكون من العسير أن يكتسب الكاتب فن الترجمة اكتساباً « وفن الترجمة لا يكفى فيه الجهد المبذول ، ولا تحمل العناء ؛ ولا بد فيه من التوفيق » . ولما كانت خصائص إعجاب المترجم الأمين تتقارب من خصائص المبدع الفنى وتضارعها ؛ لأن كليهما يستلهم الوحى من فيض الروح ، ولما كانت نهضتنا الأدبية فى وقتنا الحاضر قد سبقت النهضات الأخرى غير الأدبية بمراحل ، وقد سلكت فى سيرها الحى سبيل الجد فى الإنشاء والتأليف والترجمة ، ولما كانت الأمانة رائد المترجمين الموهوبين وهدفهم ، صار لزاما بحكم تطورنا أن ينجلى صبح الترجمة وأن يشرق نورها ، وقد انجلى ذلك الصبح البهيج فى أمور ثلاثة تستوقف النظر وتسترعى الانتباه .

الأول : القدرة على تقمص روح المترجم عنه والاندماج فيه

الثانى : الحرص على جو الزمان والمكان وحسن الاختيار .

الثالث : استيعاب فلسفة الموضوع وإبراز شخصية المترجم .

وقد وضحت هذه الصفات الثلاث وتبدت فى كتابين ظهرا حديثا : الأول « فيراتا » للأستاذ على أدهم الكاتب الغنى عن التعريف ، والثانى « أقاصيص مأثورة » للأستاذ كامل البهنساوى بك القاضى بالمحكمة المختلطة .

فى كتاب الأستاذ أدهم خمس عشرة قصة تمثل الأدب الألمانى والفرنسوى والروسى والإيطالى والبولندى ، منها المستمدة من صميم الحياة ، ومنها القائمة على الأسطورة . وكذلك فى الكتاب الثانى خمس عشرة قصة تمثل الأدب الذى اختاره الأول ، منها ثلاث تمثيليات هى « فاوست » و « كارمن » و « البوهيمية » وقصة ملخصة تمثل الأدب البولندى قرأتها كلها بلذة المطالع ، ورغبة الناقد ، وحب الإفادة والتتبع ، وقصد التعريف .

تمنيت لو عمد الأستاذ البهنساوى بك إلى النقل وأهمل التلخيص ، ولكنى وإن كنت أرضى بعض الرضى من تلخيص

التمثيليات الغنائية ولكني لا أرضى أبداً عن تلخيص قصة « حارس المنارة » ولا أقبل أي عذر يسوغ حذف سورة واحدة أو اقتضاب جملة واحدة من تلك القصة العظيمة لأنها بجملتها قائمة على التصوير الفني .

يجلس الهنداوي وأدهم على مائدة أدبية واحدة حافلة بأغذية دسمة متنوعة ، إلا أن الأول جائع يتلقف لقمته بنهم ويبتلعها على عجلة . والثاني جائع أيضاً ولكنه يتناول طعامه بقدر وتمهل وأناقة يمضغ ويزدرد ولا يعف عن المرق والتوابل « يرمرم وينقنق » ويطبق على الحلوى والفاكهة ، ويعب ويغب ... ويجتر . وأنت ترى هذه المائدة ممدودة في كتابيهما عليها الكثير من ألوان وأنواع الأدب الشهية ما عدا الأدب المكسوني !!

الهنداوي بك قاض في التحقيق التجاري ، والأستاذ أدهم « دعباس » بحكم وظيفته بوزارة المعارف ، لا يترك صغيرة أو كبيرة لا يحققها ، وكفى به أنه — في أكثر ما يكتب — نباش قلوب العظماء ، ومستحضر أرواح الخالدين في كتب التاريخ يسألهم عن اللمحة الخاطفة التي غفلت عدسات المؤرخين عن تسجيلها ليردها إلى حقيقتها ويضعها وضعها الصحيح ، فكان هذا شأنهما في حياتهما اليومية — أدبية وعملية — قد لا ينحرفان في الترجمة عما اكتسباه من ضبط ودقة يوجبهما حكم العمل ، فضلا عن حكم الفطرة الأصيلة الدقيقة .

إن الدقة في الترجمة والأمانة في النقل ، وهما الخلتان اللتان تجمعان بين الهنداوي وأدهم في كتابيهما التوأمين ، يفرق بينهما الأسلوب ، فأسلوب القاضي إنما هو « تقريري » محض ، في حين أن أدب القصة بعيد عن التقرير الفقهي والقانوني ، وقد لمس الأستاذ خليل مطران هذا الموضوع لمساً رقيقاً في مقدمة الكتاب حيث قال « توخي نافل أقاصيص مأثورة إلى لغة الضاد أن يجلوها للمطالعين مصورة بمثل التصوير الشمسي » وقال أيضاً : « ينبغي أن يكون الكلام متحركا بحركات الحياة في كل حالة من متعدد حالاتها » بيد أن أسلوب أدهم أدبي مجنح ، وقد حرص على المعنى وحافظ على جمال المبنى . أما الأستاذ الهنداوي فقد حرص أيضاً على روح الموضوع واحتفظ بجو المكان ، وقد لزم كل منهما طابعه الأصيل .

عنى الأستاذ الهنداوي بتقديم قاصي قصصه وتمثيلياته وتعريفهم بترجمة حال وسير موجزة أراد بها أن يستوفى الواقف عليها ما يعينه على إدراك الكنه في تلك الأقاصيص ، وتفهم الخصائص التي تمتاز بها كل منها في نوعها وفي بيئتها ، إلا أنه أوجز كثيراً واكتفى بذكر سنة الولادة والوفاة . وإليك المثال في التعريف « وولوع « بول هيس » مؤلف قصة « الناضبة » بالرحلات إلى إيطاليا هي التي أوحت إليه فنه » . في حين أن الأستاذ أدهم عنى ذات العناية ، ورمى ذات الهدف ، ولكنه لم يوجز بل وقف في تعريف القاص الذي ترجم عنه ، وفي التمهيد له بفلسفة القصة موقفاً لم يسبقه لمثله سواه من المترجمين .

قال يترجم لكاتب ألماني : « وكتابة جاكوب فاسومان لم تتسم كما يبدو بالإشراق والصفاء والاتزان ، وإنما تمتاز بالجدية والصرامة والقوة ، فلا يطالعك من صفحاته الروض الناضر ، أو الصباح البسام ، وإنما تشرف منها على الليل المدلهم والعاصفة المازفة ، وهو لا يكشف لك عن حرية الإنسان وقوته ، ومجده وعظمته ، وإنما يريك مصارعة الإنسان لأحزانه العميقة ، وهمومه الشديدة ، ومطاردته لأهوائه العنيفة وشهواته الغلابة . وربما كانت قوة شعوره أعظم من قوة فنه » ؛ وقال في التمهيد لفلسفة قصة « اضطهاد » للكاتب الفرنسي بوتيه : « الحياء علة من علل الإرادة ، وآفة من آفاتها الشخصية . وقد عرفه أحد من توفروا على بحث طبيعته ، بأنه حاجة ماسة إلى العطف وجدت ما يصدها ويدفعها ، أو يغرر بها ويخدعها ، والحيي إنسان عاطفي يود أن يفتح قلبه وينفض ما في نفسه ولكنه يحجم عن ذلك ... » .

* * *

ما كل قصة جديرة بالترجمة حتى وإن كان مؤلفها من كبار القصصيين ، وما كبار القصصيين أصحاب الشهرة العالمية سوى أناس مثلنا يصيبون ويخطئون ، يجيدون ويقصرون في الإجادة . ويكفي للدلالة على ذلك أنه ما من كاتب من الخالدين سلمت تواليفه كلها من النقد خصوصاً بواكيرها أو خواتيمها ، وأن شهرتهم ما قامت إلا على القصة التي تحمل من عناصر الحياة الإنسانية ومن خصائص الابتكار والإبداع الفني أوفرها ، ومن إكسير الخلود ما يجعلها موفورة النضارة والجمال والحيوية لكل جيل وزمان وأمة .

ولا عبرة بمـا ينشره الناشرون التجار من قصص كتبها المظماء قبل تمـام نضوجهم ، بل العبرة فى الاختيار : لأنه عنصر فنى أساسى . وقد أحسن الأسـتاذان : الهنساوى وأدهم اختيار القصص كلها لأنها تمثل ألوانا من أدب وقسمات من حيوات نحن فى أشد الحاجة إليها ؛ ولأنها تعين كتاب القصة منا وتسد حاجة الذين لم يتيسر لهم أن يعرفوا لغة أجنبية ؛ ولأنها ركن من أقوى أركان الثقافة التى ترفع مستوى المنتجات الفكرية وخصوصاً فى نواحى السياق والاستنباط والتصرف فى الفن القصصى .

إنى وإن كنت استحسنت ما اختار الأستاذ أدهم من القصص التى ستكون نمـاذج للذين لم يخرجوا بعد فى قصصهم عن نطاق الغرائز ودائرة الشهوات الجنسية . لا أميل إلى الأسـطورة ، ولا أستسيغها سواء أكان ملفقها تولستوى أو زنايج — وهذا لا يعنى أنى لا أقدرها قدرها ولا أقيم وزناً لمراميها الإنسانية التى هى فوق مستوى البشر كما فى قصة « فيراتا » وإن كانت تدفع بالفكر إلى ما وراء المعقول وبالذهن فى جواء واسعة للتصور والتخيل ، بل لأن إدرا كنا ما برح يقف عند بدائه الأشياء وأوائل الأمور ، ولأنه ما برح يزحف فى نطاق ضيق من المادية الملموسة المنظورة ، ولمـا نعمه بعد نطاقنا الضيق وحدوده فما بالك بما هو أبعد من البدائه وأعمق من الأوائل ؟

* * *

قال الأستاذ الهنساوى فى مقدمته « من بين فنون الادب وطرق البلاغة تفردت القصة بالذيوع ، وخصها جمهرة المطالعين بالأولوية ، وحبسوا عليهـا أوقات فراغهم ؛ والسر فى ذلك هو اتصال الرواية بالحيـاة ، ففيها تأخذ الحوادث بأعناق بعضها زاخرة بالشخصيات ، وقد أفرغ عليهـا الـكاتب من فنه المبدع ما يجعلها ماثلة أمامك يجرى فيها الدم تهتف بالبقاء للبقاء فتكون متعة للناس ، ومطلبهم جيلا بعد جيل » .

وقال الأستاذ أدهم : « والقصـة فى العصر الحاضر كثيرة الألوان متنوعة الشكول ، تـكاد تتحدى كل تعريف وتتجاوز كل تحديد ، وتختلف صورها لاختلاف العقول وتباين الأمزجة فلا يستطيع الإنسان أن يحدد معالمها ، ويحصى سماتها وملامحها » وكلما كانت القصة أصدق فى تصوير الواقع وترديد صـدى الحياة كانت أدخل فى الأدب والفن وأدنى إلى البقاء والخلود » .

وأعيد هنا ما سبق لى قوله فى مقدمة كتابى « شباب قلب » لا شك فى أن القصـة قصيرة كانت أم طويلة ، هى خير وسيلة للتعبير عن الخلجات الإنسانية ، وأرحب مجالا للذهن الخصب ، وأبرع حيلة يحتال بها صاحب الرسالة على عقول ومشاعر لا تؤخذ ولا تستصلح إلا بالحيلة والتشويق » .

* * *

وددت لو أقف طويلا حيال قصة من تلك القصص والأقاصيص الممتعة التى دبجها الترجمان الفاضلان فى أدبنا العربى ، ويسرنى أن أقول إنه سيكون لـكتابيهما الأثر الفعال فى الإعداد لإنشـاء القصص ، وأنهما سيخلدان ذكراهما كمترجمين أمينين ، وأنهما يعينان على النهضة الأدبية وتوسعة آفاقها وتهيئة الأسباب القوية لتبلغ المقام الحقيق بها بين أرقى اللغات فى هذا العصر .

حبيب الزحلاوى